الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

# محاضرات في مقياس المدارس النحوية

## للسنة الثالثة L M D

## تخصص لسانيات عامة

إعداد الدكتورة:

نورة بن حمزة

السنة الجامعية: 1442هـ/1443هـ

2021 م/ 2022م

**مقدمة:**

تتضمن هذه المطبوعة مجموعة محاضرات في المدارس النحوية، المقررة على طلبة السنة الثالثة ( ل م د)، تخصص لسانيات عامة، والتي سبق لي أن درستها للطلبة خلال الموسمين الجامعيين: 2019/2018، و 2020/2019، في قسم الآداب واللغة العربية، بجامعة بسكرة. وهي محاضرات تقدّم للطالب، يلقي فيها نظرة ولو مختصرة عن المدارس النحوية، ولذلك تناولنا في المحاضرة الأولى مفاهيم تأسيسية مثل: مصطلح المذهب ومصطلح المدرسة، حتى يسهل الولوج إلى المحاضرات اللاحقة. بعدها تطرقنا إلى محاضرة بعنوان الاتجاهات النحوية عند النحاة العرب القدامى. ثم تحدثنا في محاضرة أخرى عن المدرسة البصرية وأعلامها. وبعدها تناولنا مدرسة الكوفة وأعلامها.

وفي محاضرة أخرى خصصناها للحديث عن المدرسة البغدادية، التي انبنت على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية. وتناولنا كذلك محاضرة تحدثنا فيها عن المدرسة الأندلسية، كما تناولنا المدرسة المصرية وختمنا العمل بمحاضرة عنوانها النحو في بيئات أخرى.

وهذا العمل يمكن أن يكون للطالب زادا، كما يمكن أن يكون لزملائي الأساتذة عونا على تقديم هذه المادة العلمية التي نجد أنّ بعض أبنائنا الطلبة ينفرون منها، وذلك راجع في الغالب إلى طريقة التقديم.

## المحاضرة الأولى: مفاهيم تأسيسية

لا تزال الدراسات اللغوية والنحوية في الوطن العربي تقف طويلا عند اتجاهات النحو العربي أو مدارسه، ولا يزال النقاش محتدما بين الباحثين، فمنهم من يثبتُ المدارس، ومنهم من ينفيها. ولذلك فإن هناك اتجاهات أو مذاهب نحوية تمثلت في الآراء التي كان العلماء يبدونها، وإن كان لكل اتجاه خصائص عامة على الرغم من الآراء الخاصة التي تدل على ما للعربية من استيعاب وتفنن في الأساليب، وما للنحاة من قدرة على الدّرس العميق[1].

والحديث عن المدارس النحوية يطول، لأنه بحث في تاريخ النحو العربي الذي يمتدُّ من منتصف القرن الأول للهجرة إلى القرن الرابع عشر، ويشمل بيئات مختلفة كالبصرة والكوفة وبغداد ومصر والشام والأندلس وغيرها من الأمصار العربية والإسلامية. وكان للقدماء في ذلك التاريخ فضل لا ينكر، فقد تحدثوا عن النحاة وقسموهم إلى طبقات أو ترجموا لهم ترجمة تعتمد على ترتيب أسمائهم في حروف الهجاء، إلا أنهم لم يفردوا للاتجاهات أو المذاهب أو المدارس بحوثا ترصد نشأتها وتوضح خصائصها وإن جاء كلامهم عليها في أثناء حديثهم عن النحاة أو موضوعات النحو في موسوعاتها المعروفة. وعرف العصر الحديث لونا جديدا من البحث في تاريخ النحو العربي وصلته بغيره وتبيان خصائصه وسمات اتجاهاته، وكان المستشرقون أول من نبّه إلى ذلك وتبعهم العرب في نشأة النحو وتاريخه، وصنفوا في مدارسه وأفردوا بعضها بدراسات[2].

ونجد الباحث في النحو العربي يواجه عبارات مثل " المدارس النحوية" أو " المذاهب النحوية" أو " مدرسة البصرة" أو " مدرسة الكوفة" أو " مدرسة بغداد" أو " مدرسة مصر

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 03.

[2] المرجع نفسه، ص 05.

النحوية" أو " مدرسة الأندلس النحوية" أو " المذهب البصري" أو " المذهب الكوفي" وما إلى ذلك من تسميات. ومن ثمّ لا بدّ لنا أن نتعرض لكلمتي " مدرسة" و" مذهب" لنرى دلالاتهما والمقصود بهما عند القدماء والمحدثين، ثم نوضح سبب هذه التسميات المتعددة التي يكثر دورانها في الكتب النحوية. ولكي نتعرف على أصل كلمتي " مدرسة" أو " مذهب" ومبدأ وجودهما ننظر في كتب الأوائل الذين ترجموا للنحاة وأرخوا للنحو العربي وبيئاته لملاحظة تلك التقسيمات أو التحديدات عندهم، ثم نعرّج على المعاصرين لنرى موقفهم[1].

**أولا: القدماء:**

أول من يلقانا من القدماء " محمد بن سلام الجمحي" (139-231هـ) الذي قال: «وكان لأهل البصرة في العربية قُدْمَةٌ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية»[2]. وترجم "لأبي الأسود الدؤلي"، وعدّه مؤسس علم العربية، و"ليحي بن يعمر" و " لعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" و " لأبي عمرو بن العلاء" وانتهى "بالخليل بن أحمد الفراهيدي" [3]، ولم ينسبهم إلى مدرسة وإنما عدّهم من أهل البصرة فقط.

وأعقبه "أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري" (213-276هـ) الذي عقد في كتابه "المعارف" بحثا لرواة الشعر وأصحاب الغريب والنحو، وترجم بإيجاز لمعظم من اشتهر بهذه العلوم من البصريين والكوفيين، وهم: " أبو عمرو بن العلاء"، و "عيسى بن عمر"، و " يونس بن حبيب"، و " حماد الراوية"، و" أبو البلاد الكوفي"، و "عبّاد بن كسيب"، و"الخليل بن أحمد" و " النضر بن شميل"، و "مُؤرّج بن عمرو سدوسي"، و " ابن كُناسة الكوفي"، و "أبو عبيدة معمر بن المثنى" و " الأصمعي"، و "خلف الأحمر"،

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 07.

[2] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص12.

[3] المرجع نفسه، ص12-22.

و "اليزيدي عبد الرحمن بن المبارك"، و "سيبويه"، و " أبو زيد الأنصاري"، و " المفضل الضبّي"، و" الكسائي"، و "الفرّاء"، و " أبو عمر الشيباني (إسحاق بن مَرَّار)"، و" الأخفش الأصغر النحوي سعيد بن مسعدة"، و " ابن الأعرابي محمد بن زياد"، و "أبو مهدية الأعرابي" [1].

ويلاحظ من ترجمته لهؤلاء أنّه لم يفرِّق بين المشهورين من البصريين والكوفيين، ولم يذكرهم مقسمين إلى نحاة ولغويين، أو إلى كوفيين وبصريين معتمدا على شهرتهم، ولم يسمهم بمذهب أو مدرسة، ولم ينسب منهم إلى البصرة أحدا لكونهم معروفين في زمانه، ولا سمّى المعروفين من نحاة الكوفة ولغوييها بالكوفيين، وإن حدّد بعض الأشخاص غير المعروفين بأنهم كوفيون فقال: «أبو البلاد الكوفي»، على أنّه أروى أهل الكوفة، و«ابن كُناسة الكوفي...توفي بالكوفة» واكتفى بهذا، وبقوله معرفا بعضهم: «وكان الغريب أغلب عليه» أو «كان النحو أغلب عليه» أو«كان صاحب تقعير في كلامه واستعمال الغريب فيه وفي قراءته » أو «النحوي» وغير ذلك [2]. أما في كتاب "الشعر والشعراء" فلم يترجم إلا لمن كان منهم شاعرا مجيدا "كأبي الأسود الدؤلي" و " خلف الأحمر" [3]، وذكر غيرهما من النحويين في تعليقاته على أبيات الشعراء.

وجاء بعدهما "أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي" (ت 351هـ) وألف كتاب " مراتب النحويين" الذي بيّن طريقته في ترجمة الرّجال[4].فقال: «فهذه جملة يعرف بها مراتب علمائنا، وتقدّمهم في الأزمان والأسنان، ومنازلهم من العلم والرواية» [5].

---

[1] ينظر: ابن قتيبة، المعارف، ص540-546.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص540-546.

[3] ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 729/2، 730 و 789، 790.

[4] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص08.

[5] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص102.

رتّب "أبو الطيب اللغوي" كتابه حسب الزّمن فبدأ بالبصريين، لأنّ النحو في البصرة كان أقدم نشوءا منه في الكوفة، وترجم لعدد من النحويين البصريين وأولهم أبو الأسود، ولم يُشر إلى أنهم بصريون. وكانت أول إشارة إلى الكوفة عند ترجمته "لأبي جعفر الرؤاسي"[1]، قال: «ومِمَّن أخذ عن أبي عمرو أبو جعفر الرؤاسي عالم أهل الكوفة،... أخبرنا أبو حاتم قال: كان بالكوفة نحويٌّ يقال له أبو جعفر الرؤاسي، وهو مطروح العلم ليس بشيء» [2].

وذكرهم مرة أخرى عند كلامه على "ابن مُحيْصن"، فقال: « وكذلك ابن محيصن، كان يُحسِنُ شيئا يسيرا من جليل النحو فسقط، وكان من أهل مكّة، واسمه محمد، وأهل الكوفة يعظمون من شأنه، ويزعمون أنّ كثيرا من علمهم وقراءاتهم مأخوذ عنه» [3]. وكان أول ذكر للبصرة في ترجمة يحي بن يَعمَر وهو قوله: «ولا يذكر أهل البصرة يحي بن يعمر في النحويين، وكان أعلم الناس وأفصحَهم » [4].

ويبدو من هذه الإشارات أن المقصودين بها ليسوا النُّحاة، وإنَّما أهل البلد: البصرة أو الكوفة. وأول ذكر لعلماء الكوفة وتسميته إيّاهم بالكوفيين ورد في قوله بعد ترجمة "الرؤاسي" و"عاصم بن محيصن" من الكوفيين[5]:«والذين ذكرنا من الكوفيين فهم أئمتهم في وقتهم، وقد بيّنا منزلتهم عند أهل البصرة، فأما الذين ذكرنا من علماء البصرة فرُؤسَاءُ علماء معظمون» [6].وتحدث عن " حمزة بن حبيب الزيات" وقال:«فإن أهل الكوفة يتخذونه إماما معظما مقدّما، وليس يُحكى عنه شيء من العربية ولا النحو، وإنّما هو

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص08.

[2] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص24.

[3] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص25.

[4] المرجع نفسه، ص25.

[5] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص09.

[6] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص26.

صاحب قراءة. وأما عند البصريين فلا قدر له» [1]. ثم عاد إلى الكلام على " الخليل" ومعاصريه وتلاميذه من اللغويين والنحويين من البصريين ولم يتعرض لتسميتهم "بصريين" أو "كوفيين". وقال في "أبي الحسن الأخفش" [2]:«وهو معظَّمٌ في النحو عند البصريين والكوفيين» [3]. وقال في ترجمة " المُفضَّل الضبي": «وكان للكوفيين بإزاء من ذكرنا من علماء البصرة المفضل بن محمد الضّبيّ» [4].

ونلاحظ من هذه التسميات أنه يسمي نحاة الكوفة "الكوفيين" أو " أهل الكوفة" ويسمي نحاة البصرة: "أهل البصرة" و " البصريين" و "علماء البصرة" ولم يخرج عن مثل هذه التسميات في كتابه، ولم يسمِّ النحاة البصريين " مدرسة البصرة" ولا نسبهم إلى مذهب فقال: " مذهب البصريين" ولا سمى الكوفيين " مدرسة الكوفة" ولا مذهبهم " مذهب الكوفيين". فالنسبة عند هؤلاء المؤرخين جميعا إنما كانت نسبة النحاة إلى البلد: البصرة، فهم " أهل البصرة" و " علماء البصرة" و " البصريون"، أو الكوفة، فهم "أهل الكوفة" و "علماء الكوفة" و" الكوفيون". والدليل على أنهم كانوا ينسبون النحاة إلى البلد، ويذكرونهم في ترجمتهم إيّاهم بحسب البلدان، ولم يكونوا يعرفونهم باسم " مدرسة" أو " مذهب"، أن " أبا الطيب اللغوي" ختم كتابه بعد الانتهاء من ذكر البصريين والكوفيين وقوله فيهم [5].«ولا علم للعرب إلا في هاتين المدينين» [6] بالتعريف بمن في البلدان الإسلامية الأخرى كمكة والمدينة [7].

---

[1] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص26.

[2] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص09.

[3] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص68.

[4] المرجع نفسه ، ص71.

[5] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص09.

[6] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص98.

[7] ينظر: المرجع نفسه، ص98-101.

وتتضح هذه النسبة عند " أبي الطيب " أيضا في قوله: «فلم يزل أهل المصرين على هذا حتى انتقل العلم إلى بغداد قريبا»[1].

وألّف بعده " أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي" ( 284-368هـ) كتاب " أخبار النحويين البصريين" اقتصر فيه على نحاة البصرة وسمَّاهم " البصريين" أو " من أهل البصرة" أو " من مشهوري نحويي البصرة" [2].

وكان " أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي" ( ت 379هـ) أول من رتب كتابه ترتيبا واضحا بحسب هذه المجموعات النحوية المعروفة، واتبع فيه النسبة إلى البلدان التي وجد فيها هؤلاء النحاة وعرفوا واشتهروا، ولم يسمهم بمدارسهم أو مذاهبهم وإنما صنّفهم إلى خمسة أصناف ضمَّ كل صنف نحويين ولغويين، ثم قسّم كل صنف من هذه الأصناف إلى طبقات بحسب التقدم الزمني، فكانت: "البصريين" و " الكوفيين" و " المصريين" و" القرويين" و " الأندلسيين"، ولم يفرد " البغداديين" بصنف خاص بهم، وإنما ذكر من تسموا فيما بعد بهذا الاسم ملحقين بالمبرد من النحاة البصريين أو بثعلب من النحاة الكوفيين، وعلى هذا فقد رتبهم: أصحاب "المبرد" ثم أصحاب "الزجاج" فأصحاب "ابن السرّاج" وأصحاب "الأخفش علي بن سليمان" فأصحاب "ابن درستويه" [3]، وسمى تلاميذ "ثعلب" "أصحاب ثعلب" [4].

ويلاحظ أنه لم يكن يسمي البصريين: " مدرسة البصرة" ولا الكوفيين "مدرسة الكوفة" ولا نسبهم إلى مذهبهم النحوي، إلا أنه عندما ترجم لأصحاب ثعلب استخدم لأول مرة

---

[1] أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، مراتب النحويين، ص90.

[2] ينظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص25 و 32 و 34 و 40.

[3] ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص19-121.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص151-154.

كلمة "مذهب"، فقال عن " أبي موسى الحامض" [1]: «كان بارعا في اللغة والنحو على مذهب الكوفيين»[2].

وقال عن " ابن كيسان": «وكان بصريا كوفيا، يحفظ القولين، ويعرِف المذهبين. وكان أخذ عن ثعلب والمبرّد، وكان ميله إلى مذهب البصريين أكثر... وكان أبو بكر بن الأنباري شديد التعصُّب على ابن كيسان والتنقُّص له، وكان يقول: خلَط فلم يضبط مذهب الكوفيين ولا مذهب البصريين»[3].

ومن هنا يتضح أن "الزبيدي" كان أول من قسم النحاة إلى مجموعات بحسب البلدان التي عرفوا بها، وكان أول من استخدم عبارات: " مذهب الكوفيين" و " مذهب البصريين" و" المذهبين"، ويريد بذلك أن النَّحوي متابع لآراء نحاة الكوفة، أو لآراء نحاة البصرة أو لنحاة المدينتين[4].

وجاء بعده " أبو عبيد الله المرزُباني" (ت 384هـ) وقسم كتابه تقسيما آخر معتمدا فيه على البلدان أيضا، إلا أنّه قسمهم ثلاث مجموعات: الأولى ذكر فيها" أخبار العلماء والنحاة والرواة من أهل البصرة" ابتدأها "بأبي الأسود الدؤلي" من النحويين وختمها بالجاحظ وعمر بن شبّة من الأدباء [5]. وسمى المجموعة الثانية: " أسامي من تضمنهم هذا الكتاب من رواة الكوفة وعلمائها وقرّائها" ابتدأها "بقبيصة بن جابر الأسدي" من الرواة والفصحاء وختمها "بابن الأعرابي الراوية اللغوي" [6]. وسمى المجموعة الثالثة: "أخبار

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص10.

[2] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص152.

[3] المرجع نفسه، ص153.

[4] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص11.

[5] ينظر: أبو عبيد الله المرزباني، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، ص7-231.

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص235-307.

العلماء والنحاة والرواة من أهل بغداد، ومن طرأ عليها من الأمصار" أدخل فيها من كان من السبي ومن كان من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرهما، وابتدأ هذه المجموعة بالمدنيين وختمها "بابن الأنباري أبي بكر" و "بأبي بكر الصولي" [1].

ولم يتطرق إلى ذكر "مدرسة" أو تسمية " مذهب" وإنما استعمل عبارات :" نحو الكوفيين" و "علماء البصرة" و " أهل بغداد" ولم يسمهم " مدرسة الكوفة" أو " مدرسة البصرة" أو " مدرسة بغداد"، ويمكن أن نعدّه أسبق من " ابن النديم" إلى تقسيم النحويين هذا التقسيم الثلاثي " أهل البصرة" و " أهل الكوفة" و " أهل بغداد"[2].

ولما جاء " ابن النديم" ( ت 385هـ) اتبع التقسيم نفسه، إلا أنه سمى نحاة بغداد " من خل المذهبين"، وقسم كتابه إلى مقالات وجعل المقالة الثانية في ثلاثة فنون:

**الفن الأول:** في ابتداء الكلام في النحو وأخبار النحويين واللغويين من البصريين وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم.

**الفن الثاني:** في أخبار العلماء ويحتوي هذا الفن على أخبار النحويين واللغويين الكوفيين.

**الفن الثالث:** في أخبار العلماء وأسماء ما صنّفوه من الكتب، وقد جعله في ثلاثة أقسام:

1- أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن خلط المذهبين.
2- أسماء قوم من جماعة بلدان لا تعرف أسماءهم وأخبارهم على استقصاء.
3- الكتب القديمة في أخبار النحويين. [3]

---

[1] ينظر: أبو عبيد الله المرزباني، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، ص310-346.

[2] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص11.

[3] ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص 59 و 96 و115و 124 و129.

وابن النديم يعدّ بذلك ثاني المؤرخين الذين استعملوا كلمة " المذهبين" في تقسيمه للفنون التي تحدث عنها مشيرا بها إلى النحوين " البصري" و" الكوفي". وقد سبقه إلى هذا الاستعمال " الزبيدي" في طبقاته في أثناء ترجمته للنحاة لا في تقسيمه للمجموعات النحوية، واستخدمه " ابن النديم" أيضا في ترجمته للنحويين واللغويين [1]، فقال في ترجمة " ابن قتيبة": « إنه خلط المذهبين» [2]. وقال في ترجمة " أبي حنيفة الدينوري" إنه «أخذ عن البصريين والكوفيين» [3]. وهذا يعني خلط المذهبين.

ونقف في الكلام على مؤرخي النحاة والنحو العربي عند " أبي البركات الأنباري" ( ت 577هـ)، و " القفطي" ( ت 646هـ) لأن من جاء بعد ذلك اتبع إحدى طريقتيهما، فقد اتبع " ابن الأنباري" في ترتيب الأشخاص في كتابه " نزهة الألباء في طبقات الأدباء" التسلسل الزمني بغض النظر عن كون المترجم له لغويا أو نحويا أو أدبيا بصريا أو كوفيا أو بغداديا، ابتدأه "بعلي بن أبي طالب" و " أبي الأسود الدؤلي" أول من وضع علم النحو وختمه "بأبي السعادات بن الشجري" ( ت 542هـ)، ولم يكن يشير في ترجمة النحاة إلى أنهم من البصريين أو الكوفيين إلا في النادر، إلا أنه اتبع أن ينص في الغالب على الكوفيين من المتأخرين فيقول[4]: «من نحاة الكوفيين» أو «أحد العلماء بنحو الكوفيين» [5] أو نحو ذلك، ولم يذكر كلمة " مذهب" إلا مع البغداديين في الغالب كقوله:

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص12.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص 115.

[3] المرجع نفسه، ص116.

[4] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص12.

[5] أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص202 و 213 و 210.

«وكان يخلط المذهبين» أو«وكان قيما بمذهب البصريين والكوفيين» [1]، ولم يذكر كلمة "مذهب" مع الكوفيين إلا قليلا [2].

أما "القفطي" فقد رتب الأعلام في كتابه " إنباه الرواة على أنباه النحاة" ترتيبا هجائيا وكان ينص في خلال ترجمته لهم على انه من " أهل البصرة" أو " بغدادي" أو "ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد" أو "نزيل مصر" أو " من أهل قرطبة" أو " صاحب ثعلب" أو " معدود من نحاة الكوفة" أو " البغدادي النحوي" أو " دمشقي الدار" أو " البصري النحوي" أو " من مدينة أبي جعفر" أو " النحوي المصري" أو " تابعي بصري" إلى غير ذلك من العبارات[3].

يتضح من هذا العرض لمناهج الذين أرخوا للنحو والنحاة من القدماء أنهم لم يستعملوا كلمة " مدرسة" في تصنيفهم لهذه المجموعات النحوية، وإنما اتبعوا في ترتيبهم نسبتهم إلى البلد الذي ظهروا فيه وتعلموا نحوه، فهم "بصريون" و " كوفيون" و" أهل بغداد" و " مصريون" و " أندلسيون" و " من أهل قرطبة" و " من أهل دمشق" ولم يستخدموا كلمة " مذهب" في التقسيم إلا " ابن النديم" في تسميته من ترجم لهم في الفن الثالث من المقالة الثانية " من خلط المذهبين" ، ولم يستعمل غير هذه الكلمة في الغالب إلا في ترجمة البغداديين الذين "خلطوا المذهبين" أو " مالوا إلى المذهب الكوفي" أو " من مال إلى مذهب البصريين أكثر" أو " كان قيما بمذهب البصريين والكوفيين"[4].

---

[1] أبو البركات الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص217 و 208.

[2] المرجع نفسه، ص179.

[3] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص13.

[4] المرجع نفسه، ص13.

**ثانيا: المعاصرون:**

كان المعاصرون أول من استعمل كلمة " مدرسة"، قال " بروكلمان" : « وقد قسم علماء العربية مذاهب النحاة إلى ثلاث مدارس: البصريون، والكوفيون، ومن مزجوا المذهبين من علماء بغداد»[1].

ويبدو أنه عنى بـ " مدرسة" مجموعة النحاة الذين كانوا ينتسبون إلى بيئة نحوية واحدة، وتبع في لك " جوتولد فايل" الذي سماهما: "المدرسة البصرية" و "المدرسة الكوفية". واستعمل المحدثون الكلمة نفسها، ولعل الدكتور" مهدي المخزومي" أول من تبنى هذه التسمية فسمى أحد كتبه " مدرسة الكوفة ومهجها في دراسة اللغة والنحو". وألّف الدكتور "شوقي ضيف" كتابا سماه " المدارس النحوية" . وألّف الدكتور " عبد الرحمن السيد" كتابا سماه "مدرسة البصرة النحوية". وظلت كلمة "مدرسة" تعني مجموعة النحاة الذين كونوا درسا نحويا في بيئة معينة[2].

وشاعت تقسيمات متعددة لمجموعات من النحويين سميت كل منها " مدرسة" فهناك "المدرسة البصرية" و "المدرسة الكوفية" و " المدرسة البغدادية" و " المدرسة المصرية" و " المدرسة الأندلسية" وغيرها من التسميات التي يُفهم منها أن كلا منها يعني مركزا من المراكز التي عُرف فيها للدرس النحوي نشاط ورجال ومؤلفات.

بدأ المعاصرون يحددون هذا المصطلح ويبحثون إطلاقه على هذه المراكز التي ذكرناها، وكان أول من وجدناه يحدد كلمة "مدرسة" الدكتور " مهدي المخزومي" في "مدرسة الكوفة" عند كلامه على " الكسائي" قال[3]:« إن الكسائي بمنهجه وأساليب دراسته

---

[1] كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، 124/2، 125.

[2] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص13.

[3] المرجع نفسه، ص14.

مدرسة لها خصائصها ومميزاتها، فليست المدرسة إلا أستاذا مؤثرا، وتلاميذ متأثرين، وقد اجتمعوا على تحقيق غرض موحد، ونهجوا للوصول إليه منهجا جديدا»[1]. وتابعه الدكتور " أحمد مكي الأنصاري" وهو يتحدث عن "الفرّاء" فقال: إن المدرسة: «اتجاه له خصائص مميزة، ينادي بها فرد أو جماعة من الناس ثم يعتنقها آخرون»[2]. وهذا نفسه ما دلّ عليه تعريف " جوتولد فايل" للمدرسة بأنها الاشتراك في وجهة النظر الذي يؤلف الجبهة العلمية ويربط العلماء بعضهم ببعض على رأي واحد. فهي بهذه الحدود –في نظرهم– تؤدي المعنى الذي تؤديه كلمة " مذهب" المعروفة في الدراسات الإسلامية وتحمل معناها المعروف في لغة العرب [3]، فالمذهب في اللغة : «المعتقد الذي يُذهب إليه» [4].

وإننا عندما نقول: "مذهب مالك" أو " مذهب الشافعي" أو غيرهما فإنما نعني مجموعة الأحكام والآراء الفقهية التي قال بها كل منهما، وتابعه عليها مجموعة من الناس والتزموا بها وطبقوها [5].

وعليه نقول: إن الفرق بين " المدرسة " و " المذهب" في النحو هو أن "المدرسة" لا تطلق إلا على رأي تبعه جماعة وفق قوانين وقواعد وأسس تأسست عليها هذه المدرسة وعرفت بها، بينما " المذهب" قد يكون منفردا من عالم واحد، فأنت لا يمكن أن تقول لرأي ذهب إليه يونس أو خالد أو أحمد هو مدرسة، بينما يصحُّ أن تقول " المذهب الكوفي" أو " المدرسة الكوفية".

**هل هناك مدارس؟**

---

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص106.

[2] أحمد مكي الأنصاري، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، ص352.

[3] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص14.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة ( ذهب)، 48/6.

[5] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص14.

وقد جرّهم تحديدهم " المدرسة" هذا التحديد إلى الاختلاف في إثبات وجود مدارس متنوعة تحمل هذه الأسماء، وذهبوا في ذلك مذاهب مختلفة، فقال بعضهم إنه لا توجد إلا مدرسة نحوية واحدة هي " مدرسة البصرة"، وأنكر وجود مدرسة باسم " مدرسة الكوفة"، وقد سبق إلى القول بهذا " جوتولد فايل" –محقق كتاب الإنصاف– الذي كان يتشكك في قيام "مدرسة كوفية"، ومن ثمّ لا يرى قيام " مدرسة بغدادية"، إذ إنها ليست إلا امتزاج المدرستين " البصرية" و " الكوفية" معا [1].

ولم يكن " جوتولد فايل" الوحيد الذي أنكر وجود مدرسة نحو كوفية وإنما حذت حذوه "دائرة المعارف الإسلامية" في إنكار وجود هذه المدرسة [2].

وذهب الأستاذ " علي أبو المكارم" المذهب نفسه فقال بفساد «تلك الفكرة التي شغلت كثيرا من الدارسين في النحو العربي، قدامى ومحدثين، وهي وجود مدارس نحوية تتميز كل منها بأسلوبها الخاص ومنهجها الذاتي، ويؤكد (ذلك)... أن المنهج الذي سارت فيه الدراسة النحوية واحد في مدنه المختلفة تحكمُه قواعد عامة لم يخرج عليها وإن تفاوت تأثير بعضها في بعض، وإذن ليس ثمة مدارس –بالمعنى الذي يقطع بوجود منهج متميز لكل منها– في النحو، وإنما هناك تجمعات مدنية، وهذه التجمعات تتحرك في إطارات متشابهة وتطبق أصولا واحدة، وإن اختلفت فيما بينها في بعض الجزئيات فإنه اختلاف لا ينفي عنها وحدة المنهج واتفاق الأصول» [3]. ويرى أن لا تناقض في أن يكون " الخليل" رأس المدارس النحوية جميعا، لأن وجود تجمعات مدنية في البصرة والكوفة ثم في بغداد ومصر والأندلس لا يسلم بالضرورة إلى القول بتعدد مناهج هذه التجمعات وتباينها [4].

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص267، 268.

[4] ينظر: علي أبو المكارم، مدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا ونصوص نحوية، ص121.

وأثبت فريق ثالث من النحويين وجود مدرستين بصرية وكوفية، وتردد في القول بوجود مدرسة بغدادية، ويمثل هذا الفريق الدكتور " مهدي المخزومي" الذي ذهب إلى إنكار وجود "مدرسة بغدادية" ورأى أن هناك مدرستين "بصرية" و " كوفية"، قال: «تردد اسم البغداديين كثيرا في أثناء القرن الرابع بإزاء الكوفيين والبصريين حتى ليخيل للدارس أن البغداديين كانوا يمثلون جماعة ثالثة لهم طريقته الخاصة ومذهبهم المتميز، وجاء المتأخرون من النحاة فرأوا اسم البغداديين يذكر إلى جانب الكوفيين والبصريين فذهب بهم الوهم بعيدا، وراحوا يركبون الصعب في تصوير مذهب ثالث يقف بإزاء مذهب أهل البصرة ومذهب أهل الكوفة، وهو مذهب البغداديين» [1].

وحاول أن يثبت أن ليس هناك إلا مدرستان نحويتان هما: " مدرسة البصرة" و "مدرسة الكوفة" التي سماها " مدرسة بغداد الكوفية"، أما "المدرسة البغدادية" أو مدرسة من خلط المذهبين فلا وجود لها. ورأى أن القول بوجود مدرسة بغدادية افتعال لمذهب ثالث لا وجود له، وقد ردّ على من قال بهذا القول " كهدى محمود قراعة" التي قالت بوجود مدرسة بغدادية وعدّت الزجاج مؤسسا لها[2]، ورد به على الدكتور " أحمد مكي الأنصاري" الذي أثبت وجود مدرسة بغدادية وعدّ "الفراء" مؤسس هذه المدرسة[3]، وعلى الدكتور " شوقي ضيف" الذي أثبت للمدرسة البغدادية وجودا مستقلا[4].

---

[1] مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد، ص 07.

[2] ينظر: مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد، ص130، 131. وينظر: الزجاج، ما ينصرف وما لا ينصرف، ص12.

[3] ينظر: مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد، ص 131. وينظر: أحمد مكي الأنصاري، ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، ص363.

[4] ينظر: مهدي المخزومي، الدرس النحوي في بغداد، ص 131.

وكانت خلاصة رأيه في تلاميذ "المبرد" و " ثعلب" ومن سار على طريقتهم في الأخذ بآراء المدرستين والجمع بين المذهبين أنهم لا يكوّنون مذهبا ثالثا ولا مدرسة ثالثة، وإن ما يظهر من بعض مزايا المدرستين في نحو هؤلاء لا يكوِّن مذهبا ثالثا [1].

وكان الدكتور" المخزومي" قد وقف موقفا آخر من المدارس في كتابه "مدرسة الكوفة" وقال بوجود مدرستين «بصرية عمادها وقوامها كتاب سيبويه وهو محور نشاطها ومادة علم رجالها... وكوفية لم تكن عناية رجالها بالكتاب بأقل من عناية البصريين»[2]. ورأى أن ليس المذهب البغدادي «إلا مذهبا انتخابيا، فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا»[3].

ولم يكتف بهذا وإنما شرح نشوءها وصرح بتسميتها " مدرسة بغداد النحوية" في قوله: «ونحن نعلم أن الكوفيين والبصريين قد اجتمعوا في بغداد، واجتمع حولهم الطلاب، وكان بين الشيوخ والطّلاب من كلتا المدرستين اتصالات ومباحثات ومناظرات، ووجد أخيرا كثير من الطلاب، وقد جلسوا إلى شيوخ المدرستين، وأخذوا عنهم جميعا، فكانت هذه الظاهرة نقطة تحول، أو بادرة تومئ إلى نشأة اتجاه جديد، فيه مزايا الاتجاهين اللذين عاشا جنبا إلى جنب فترة طويلة من الزمن، وهما يسيران في اتجاهين متباعدين، ونشأ من هذا الاتجاه الجديد "مدرسة بغداد النحوية"»[4].

وفي موضع آخر أصر على أنها ثلاث مدارس فقال: «وأما أصحاب ثعلب الذين ذيلنا اسمه بأسمائهم، فليسوا جميعا كوفيين، بل أكثرهم ينتمون إلى مدرسة جديدة هي "

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص17.

[2] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص69.

[3] المرجع نفسه، ص 70.

[4] المرجع نفسه، ص81.

مدرسة بغداد"، وهي المدرسة الانتخابية التي قامت على خلط المنهجين من المدرستين البصرية والكوفية، لأنهم أخذوا عن بصريين وكوفيين، وتأثروا بهؤلاء وهؤلاء»[1].

وممن صرّح من المحدثين بنفي وجود مدرسة ثالثة: الدكتور" عبد الفتاح إسماعيل شلبي"، الذي قال: إنه لم تكن هناك –فيما يرى– «مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها، غاية ما في الأمر أن رجالا خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية، فرأوا رأيا من هذه ورأيا من الأخرى »[2].

وذهب كثيرون إلى وجود ثلاث مدارس، وكان من أوائل الذين قالوا بهذا الأستاذ " أحمد أمين" الذي رأى أن المدارس ثلاث: " مدرسة البصرة" التي توِّج النحو فيها "بسيبويه" وكتابه ، و " مدرسة الكوفة" التي نشأت وعلى رأسها "أبو جعفر الرؤاسي" وتلميذاه " الكسائي" و " الفرّاء" وكان البصريون أكثر اعتدادا بأنفسهم و أكثر شعورا بثقة ما يروون وأشدّ ارتيابا بما يرويه الكوفيون، لذلك كان الكوفي يأخذ عن البصري، ولكن البصري يتحرج عن أن يأخذ عن الكوفي، وظل الحال كذلك حتى تأسست مدينة بغداد والتقى فيها المذهبان " البصري" و " الكوفي" وعُرض نحوهما ومنهجه وأصوله أمام الدارسين الذين قاموا بنقدهما والانتخاب منهما، ووجد بذلك مذهب منتخب [3].

ومنهم الشيخ " محمد الطنطاوي" الذي ذهب إلى وجود فريق بصري وفريق كوفي وفريق خالط بينهما أو مازج بينهما.

وذهب هذا المذهب الأستاذ "سعيد الأفغاني" فقال إن الكوفيين نشروا مذهبهم في حاضرة الخلافة العباسية ببغداد، وقصدها البصريون بعدهم ونشأت عن هذين الفريقين

---

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص 87.

[2] عبد الفتاح إسماعيل شلبي، أبو علي الفارسي حياته، ومكانته بين أئمة التفسير العربية وآثاره في القراءات والنحو، ص446، 447.

[3] ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص 606–618. وينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص19.

طبقة جديدة في بغداد اتسمت بالاختيار من المذهبين وكونت ما عرف "بالمذهب البغدادي"[1].

وكان أكثر الباحثين المحدثين دفاعا عن وجود مدرسة بغدادية وتصميما على القول بوجود ثلاث مدارس نحوية الدكتور "أحمد مكي الأنصاري"، فقد تحدث عن وجود مدرستين "بصرية" و "كوفية"، وأثبت وجودهما، وبيّن منهج كل منهما في الدراسة النحوية، وخصائص هذا المنهج مما تشتركان فيه أو تختلفان، وبنى على هذا القول بوجود مدرسة ثالثة تقف بين المدرستين وتختار منهما بعض خصائصهما لتكوّن لها مذهبا جديدا أو مدرسة جديدة هي التي سميت " المدرسة البغدادية" التي لم تكن خصائصها إلا امتزاج خصائص المدرستين "البصرية" و " الكوفية"، وبنى على ذلك أن منهج " الفراء" قام على المزج بين خصائص المدرستين ومنهجهما النحوي، ولهذا فهو عنده المؤسس الحقيقي للمدرسة البغدادية [2].

وجعل بعضهم المدارس النحوية أربعا: اثنتان منها هي الأُمّات، واثنتان منها فرعان، والقائل بهذا هو الأستاذ " طه الراوي"، قال: «وهكذا نجد لكل عَلم من أعلام العربية آراء ينفرد بها، تكثر أو تقل بمقدار ما واتيه من بسطة في العلم وبراعة في الإبداع، ولكن مرجع ذلك كله إلى الأمات الأربع، وأصول تلك الأمات اثنتان: البصرية والكوفية، أما مذهب البغدادية فمرجعه الكوفة، ومذهب الأندلسية يرجع إلى البصرية».

وقد أبرز الدكتور" شوقي ضيف " جميع هؤلاء الباحثين، وجعل المدارس النحوية خمسا هي: " المدرسة البصرية" و " المدرسة الكوفية" و " المدرسة البغدادية" و " المدرسة الأندلسية" و " المدرسة المصرية"، وقد أوضح تقسيمه هذا يقوله: «ولعل هذه أول مرة

---

[1] ينظر: سعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص229.

[2] ينظر: أحمد مكي الأنصاري، ابو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، ص 363.

تُبحثُ فيها المدارس النحوية بحثا جامعا، وهو بحث يرسم في إجمال الجهود الخصبة لكل مدرسة وكل شخصية نابهة فيها، وكان طبيعيا أن أبدأ بالمدرسة البصرية، لأنها هي التي وضعت أصول نحونا وقواعده... وقد ذهبت إلى أن الخليل هو المؤسس الحقيقي لمدرسة البصرة النحوية، ولعلم النحو العربي بمعناه الدقيق... وأخذت أبحث في نشاط المدرسة الكوفية، ولاحظت أنه بدأ متأخرا عند الكسائي... وتلميذه الفراء... ومضيت أبحث في المدرسة البغدادية... والنهج القويم للمدرسة البغدادية القائم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية مع فتح الأبواب للاجتهاد... وانتقلت أبحث في المدرسة الأندلسية متابعا نشاطها النحوي، ... وبحث أخيرا في المدرسة المصرية ملاحظا أنها كانت في أول نشأتها شديدة الاقتداء بالمدرسة البصرية ثم أخذت تمزج من القرن الرابع الهجري بين آراء البصريين والكوفيين، وضمت سريعا إلى تلك الآراء آراء البغداديين»[1].

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 05-07. وينظر: الكلام على كل مدرسة في موضعها من الكتاب.

## المحاضرة الثانية: الاتجاهات النحوية عند النحاة العرب القدامى.

دراسة اللغة ظاهرة قديمة، فقد كان للهنود دراستهم اللغوية المتميزة بالوصف ومن، ومن أشهر نحاتهم: ( بانيني) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، ويعد خير النحويين الوصفيين القدماء. وكان لليونان دراسات لغوية، في أصوات اللغة وتراكيبها، فدرسوا العلاقة بين الألفاظ والمعاني، إلا أن دراستهم اعتمدت على الفلسفة والمنطق. وللرومان كذلك دراسات في اللغة اللاتينية (بدأت منذ القرن الثاني قبل الميلاد)، نهجوا فيها منهج اليونانيين في لغتهم [1].

وقد أولى العرب العربية –باعتبارها لغة القرآن الكريم– أكبر قسط من العناية والاهتمام، وازدهرت العلوم اللغوية عندهم ازدهارا كبيرا، ووصل إلينا كثير من تلك الدراسات، عن طريق المخطوطات التي كتب لها البقاء، ولا شك أن " الكتاب" "لسيبويه" يعدّ من الآثار التي تشهد بفضل النحاة السابقين قبله، كما أنه ظل يمثل منارة للنحاة التالين له، وإن بدت بينهم بعض الخلافات في الرأي، وقد أخذت هذه الخلافات تتضح شيئا فشيئا بين البصريين والكوفيين. ولا مانع بعدئذ من أن يختلف نحوي مع نحوي في إطار هذه المدرسة؛ إذ نجد أن البصريين فيما بينهم أو الكوفيين، يختلفون في المسألة الواحدة[2].

ومظهر الاختلاف في الرأي مظهر طبيعي، يحدث في إطار أي تفكير أنساني، لغوي وغير لغوي، وقد تميزت المراحل الأولى من الدراسة النحوية على يد النحاة الأوائل

---

[1] عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص72.

[2] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص71.

باتجاه البحث إلى استقراء المأثور عن العرب، وهذا ملمح وصفي، وإعمال الفكر لاستخراج القواعد، بقصد معياري[1].

وما يعنينا في هذا المقام أن نبحث عن الجوانب المنهجية التي تشكل الأسس التي انطلق منها النحاة القدماء. فما هي الاتجاهات التي رسمت التفكير النحوي في دراسة الظواهر اللغوية؟

يمكن تصنيف هذه الاتجاهات إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: الاتجاه الوصفي.

المبحث الثاني: الاتجاه العقلي.

المبحث الثالث: الاتجاه التاريخي [2].

**المبحث الأول: الاتجاه الوصفي:** يقوم المنهج الوصفي على أساس وصف اللغة في مستوياتها المختلفة، أي في أصواتها وأبنيتها الصرفية، وتراكيبها النحوية، ودلالتها المعجمية والبلاغية. ولما كان النحاة يهدفون من دراستهم اللغوية إلى انتحاء سمت كلام العرب، كان لا بد من إجراء وصف لهذه اللغة، وذلك من خلال استقراء كلام العرب المطَّرد الفصيح المنقول نقلا صحيحا. ولعل أبرز ملامح الاتجاه الوصفي عند النحاة يبرز في الآتي:

1-**وصف الكلمة المفردة:** لما راقب النحاة الكلمة المفردة في أثناء استقرائهم كان من اليسير عليهم بالملاحظة، رصد بعض الظواهر وتصنيفها:

---

[1] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص72.

[2] المرجع نفسه، ص73.

أ- ربطوا بعض أصوات الكلمات بالأصوات المشابهة لها عند الإنسان وذلك نحو القهقهة، والتمطق ( حكاية صوت المتذوق إذا صوّت باللسان)، والهمهمة [1]، أو الكلمات الدالة على أصوات الحيوان، وذلك نحو رغاء الناقة، وهدير الجمل، وصهيل الفرس وخوار البقر إلخ. أو الكلمات الدالة على أصوات الأشياء، وذلك نحو خرير الماء، والنشيش ( صوت غليان الشراب)، والشُخْب ( صوت اللبن عند حلبه)، أو الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره كالدّق والكسر والهدم إلى غير ذلك[2].

ب-ملاحظة العلاقة الاشتقاقية في الألفاظ، وذلك من مثل ( كَتَبَ، يَكْتُبُ، اُكتُب، كاتب، مكتوب، كتاب، مستَكتَب)، فنسبوا هذه الكلمات إلى حروف مشتركة هي ( ك، ت، ب) ومن ثم كان من الطبيعي تصنيف الكلمات إلى مشتقة وغير مشتقة[3].

وقد فطن "الخليل بن أحمد الفراهيدي" إلى ملاحظة ظاهرة أخرى، وهي ارتباط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات ببعض المعاني ارتباطا غير مقيد بترتيب، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها، واستفاد من هذه الملاحظة في معجمه "العين" دون أن يسميها، فتكلّم مثلا عن (عقص، وقعص، وقصع، وصعق، وصقع) في موضع واحد[4]، وقد سلك " ابن فارس" في معجمه " مقاييس اللغة" نهجا يوجه فيه عنايته إلى هذه الصلة، وأوضح ذلك في كتابه " الصاحبي"[5]، وقد وجدت هذه الظاهرة توسعا عند "ابن جني"، حيث أكثر من ضرب الامثلة عليها، وذلك نحو قوله:

---

[1]ينظر: أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ص240، 241.

[2]حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص74.

[3]المرجع نفسه، ص75 .

[4]ينظر: الخليل بن أحمد، كتاب العين، 1/127-129.

[5] ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص96، 97.

( أصوات ق، س، و) تدل على القوة والاجتماع كيفما اختلف ترتيبها، فيوجد هذا المعنى في تراكيبها الخمسة المستعملة ( وهي: قَسَوَ، قَوَسَ، و وَقَسَ، و وَسَقَ، و سَوَقَ) [1].

**2- وضع المصطلحات وتعريفها:** ولا شك أن التفكير في المصطلح النحوي، يشير إلى أن النحاة بدأوا بذهن علمي متفتح، فجردوا ظواهر لغوية واسعة، بأسماء اصطلاحية، وصفية ذات دلالة قوية على معانيها، وذلك نحو الفاعل، والمفاعيل بأنواعها، والاستثناء، والتمييز، والاسم، والفعل، والمبني ، والمعرب... إلخ. ولعل كتاب "سيبويه" يشير إلى مرحلة غير مستقرة في المصطلح، تشير إلى الملمح الوصفي عندهم بوضوح[2]، وذلك نحو وصفه لكان وأخواتها، فيقول: « هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد، ... ولا يجوز الاقتصار على الفاعل، كما لم يجز في (ظننتُ) الاقتصار على المفعول الأول»[3].

وقد اختصرت كثير من عناوين الكتاب – فيما بعد- بطريقة موجزة، ولكنها ظلت تحمل في الكتاب سمة الوصفية، من ذلك وضع النحاة مصطلح التنازع بدلا من وصف "سيبويه" له[4] بقوله: «هذا باب الفَاعليْن والمفعوليْن اللذيْن كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعَل به»[5].

وقد حرص النحاة على وضع تعريفات لهذه المصطلحات، يلاحظ أنها تناولت الوظيفة كما تناولت الشكل، يقول " الزجاجي" محددا الاسم تحديدا وظيفيا[6]: «فالاسم ما

---

[1] ينظر: ابن جني، الخصائص، 136/2.

[2] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص76.

[3] سيبويه، الكتاب، 83/1.

[4] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص77.

[5] سيبويه، الكتاب، 123/1.

[6] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص77.

جاز أن يكون فاعلا أو مفعولا، أو دخل عليه حرف من حروف الخفض»[1]، ويَتْبَع ذلك بتحديد شكلي، فيميز الاسم بانفراده بقبول الجرِّ والتنوين، ودخول الألف واللام عليه، وصلاحيته لأن يكون موصوفا ومصغرا ومنادى[2].

**المبحث الثاني: الاتجاه العقلي:** يستمد هذا الاتجاه تكوينه من ثلاثة روافد هي:

1-الاتجاه العقلي الفلسفي.

2-الاتجاه العقلي المنطقي.

3-الاتجاه العقلي المعياري.

**1-الاتجاه العقلي الفلسفي:** ربما كان تأثر النحاة القدماء بالفلسفة الإغريقية من أوائل القضايا التي تواجه الدارس عند تحليل هذا الاتجاه، وهي قضية خلافية بين الباحثين قديما وحديثا، فمنهم من ينكر هذا التأثر "كالزجاجي"[3].

ومن المحدثين من ينكر تأثر النحاة بمنطق اليونان، منهم " علي النشار"[4]. ومن الباحثين من يرى أنك « إذا درست فلسفة النحو العربي، وجدت أنه لا يخرج بجوهره عن فلسفة أرسطو في اللغة»[5]، والتأثر والتأثير يعدّ سمة إنسانية في المجالات الحياتية المتنوعة[6].

ومن أمثلة الاتجاه الفلسفي عند النحاة تعليلهم لإعراب الفعل المضارع، وذلك لشبهه بالاسم، فقد سمي مضارعا لمضارعته للاسم[7]. ويبدو التفكير الفلسفي

---

[1]الزجاجي، الجمل في النحو، ص17.

[2]ينظر: المرجع نفسه، ص18.

[3]حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص102.

[4]ينظر: علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص05.

[5]أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، ص24.

[6]حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص103.

[7]المرجع نفسه، ص105.

في جدلهم حول أولية المصدر والفعل، فيرى البصريون أن المصدر أصل للفعل، ويرى الكوفيون أن الفعل أصل للمصدر[1].

2-**الاتجاه العقلي المنطقي:** ينصرف الذهن عند ذكر المنطق إلى المنطق الفلسفي المتعلق بأرسطو، مع أن للمنطق تعريفات كثيرة، وقد عُرّف أنه: «اسم يطلق على العلم الذي يَدرُس أشكال التفكير، أي العلاقات التي تعبِّر عنها اللغة»[2].

ولعل ملامح التفكير المنطقي عند النحاة تبرز في بعض أشكال القياس، وبعض أشكال التعليل.

أ- **القياس المنطقي:** غلب على القياس عند أوائل النحاة الطابع الوصفي، إلا أنه اتجه بعد ذلك اتجاها شكليا، يقوم على مدى اطّراد الظواهر وشيوعها، فأصبح يعرف بأنه إلحاق الفرع بالأصل[3].

وقد اعتمد النحاة على القياس المنطقي، القائم على المقدمتين الكبرى والصغرى والنتيجة، في تصنيفهم للاسم والفعل من حيث الخفة والثقل، وذلك بأن افترضوا أن الفعل أثقل من الاسم بناء على مقدمة كبرى، مفادها: أن ما يَسْتَتِر في الآخر هو الأخف، ومقدمة صغرى مفادها: أن الاسم يستتر في الفعل، فالنتيجة أن الاسم أخف من الفعل[4].

ب- **التعليل المنطقي:** تطور التعليل عند النحاة من تعليل وصفي يكتفي بتسويغ الظواهر اللغوية ويربط بينها، إلى شكل آخر أصبحت فيه العلل هدفا تعدّل من أجله القواعد، وذلك في أوائل القرن الثالث وما بعده، إثر انتشار حركة الترجمة، وما ترتب على ذلك من وقوف النحاة على حصيلة التراث

---

[1] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص106.

[2] محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، ص01.

[3] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص108.

[4] المرجع نفسه، ص111.

الإنساني، من يوناني وفارسي وهندي، ويُذْكر أن حركة الترجمة آنذاك كانت تلقى دعما من الدولة الإسلامية، وذلك بتيسير حصول المترجمين على المخطوطات. إضافة إلى التطور الطبيعي للتعليل، الذي أضاف منطلقات جديدة تقوم على المنطق، فأصبح لا يكتفي بتبرير الظواهر اللغوية، وإنما أخذ يوجِد ما ينبغي أن ينسجم مع العلل، فالعلل أصبحت هدفا تُعدَّل من أجلها القواعد، ومن ثم نشأ نوعان جديدان من العلل هما: القياسية والجدلية، إضافة إلى النوع الذي يمكن أن يُعَدَّ امتدادا طبيعيا للتعليل الوصفي، وهو ما سماه " الزجّاجي" بالعلة التعليمية، والذي ظل يهدف إلى تعليم اللغة عن طريق الربط بين ظواهرها[1].

يقول "الزّجّاجي": «فأما العلة القياسية فأن يقال لمن قال: نصبتُ زيدا بـ ( إنّ)، في قوله: إن زيدا قائم، ولمَ وجب أن تنصب (إنَّ) الاسم؟، فالجواب في ذلك أن يقول: لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحُملت عليه، فأُعملت إعماله لما ضارعته، فالمنصوب بها مشبّه بالمفعول لفظا، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظا، فهي تشبه من الأفعال ما قُدِّم مفعوله على فاعله، نحو ضرب أخاك محمد. وأما العلة الجدلية فكل ما يعتل به في باب (إنّ) بعد هذا، مثل أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أبالماضية أم المستقبَلة أم الحادثة في الحال؟ وحين شبهتموها بالأفعال، لأي شيء عدلتم بها إلى ما قُدِّم مفعوله على فاعله، نحو: ضرب زيدا عمرو؟ وهَلَّا شبهتموها بما قُدّم فاعله على مفعوله، لأنه هو الأصل وذاك فرع ثان؟ فأي علة دعتك إلى إلحاقها بالفروع دون الأصول؟»[2].

---

[1] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص114.

[2] الزّجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص64، 65.

وقد بالغ النحاة في العلل حتى عدَّدوا بعد "الرُّماني" أربعة وعشرين نوعا من العلل المُفلسفة المُمنطقة. ومن هنا نشأ اتجاه معارض لهذه العلل، لعل " الزّجّاجي" بدأه حين أشار إلى تقديم العلة التعليمية على العلتين الأخريين، غير أنه لم يتخلص في مناقشته النظرية من المنطق الذي شكّل سمة بارزة في عصره[1].

وقد أحسن " ابن السرَّاج" تصنيف العلل، وفقا لدورها في تحقيق هدف أساسي لعلم النحو " انتحاء سمت كلام العرب" إلى ضربين بقوله: «اعتلالات النحويين ضربان: ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب، كقولنا: كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب، وضرب يسمى علة العلة، مثل أن يقولوا: لم صار الفاعل مرفوعا والمفعول منصوبا؟ وهذا ليس يُكسبُنا أن نتكلم كما تكلمت العرب»[2].

وصدرت عن "ابن جني" ومضات تشير إلى رفضه للعلل الثواني والثوالث، وقد جاءت كذلك دعوة "ابن مضاء" أكثر حدة وإلحاحا، فدعا إلى إسقاط العلل الثواني والثوالث بقوله: «ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن ( زيد) من قولنا ( قام زيد) لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر» [3].

ومن ثم نستطيع القول إن مَنْطَقَة النحاة لكل ظواهر اللغة، إضافة إلى مبالغتهم في إيجاد العلل الثواني والثوالث، كان سببا واضحا في تعقيد الدراسة النحوية [4].

---

[1] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص117.

[2] السَّيُوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص73.

[3] ابن مضاء القرطبي، الرّد على النحاة، ص 151.

[4] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص119.

**3-الاتجاه العقلي المعياري:** يسعى التفكير النحوي إلى هدفين رئيسيين، شكّلا معا الاتجاه المعياري عند النحاة العرب القدماء.

1-هدف تأصيلي يرمي إلى وصف الظاهرة اللغوية والوقوف على حقيقتها، بتسجيل قواعدها، وذلك حتى تكون مرجعا يُرجع إليه في معرفة السَّمتِ الذي كانت تُنطق عليه العربية، فيما سمي بعصر الاحتجاج (ابتداء من العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الثاني الهجري)، لا سيما بعد أن بدت مظاهر اللحن، وزاد احتكاك العرب بغيرهم، وهم يقصدون بذلك خدمة عظيمة للقرآن الكريم.

2-هدف تعليمي يرمي إلى تعليم الأنماط اللغوية، التي تمكِّن الناس من عرب وغيرهم من تعلم لغة القرآن الكريم، والتعامل بها فيما بينهم، ويمكن الوقوف على هذا المنهج من خلال النقاط التالية:

أ- **المعيارية ومستويات اللغة:** تعامل النحاة مع مستويات اللغة المختلفة في إطار زماني يمتد ثلاثة قرون تقريبا، قرنا ونصف القرن قبل الإسلام، وقرنا ونصف القرن بعده، وفي إطار مكاني ممتد أيضا شمل مجموعة من القبائل هي[1] «قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين أُخِذ عنهم أكثر، وعليهم اِتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائِيِّين» [2].

إن تقليبنا سلوك النحاة المعياري هذا تقليبا واعيا يجعلنا نقف على غرضهم التعليمي، الذي يهدفُ إلى توحيد الناس على نمط لغوي مشترك [3].

---

[1] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص119.

[2] السيوطي، المُزهر في علوم اللغة وأنواعها، 211/1.

[3] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص121.

ب- **المعيارية والشواهد:** يُعرَّف الشاهد عند أهل العربية بأنه«الُجزئيُّ الذي يُستشهدُ به في إثبات القاعدة، لكون ذلك الجزئي من التنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم» [1].

ويشمل الشاهد اللغوي كما يروي السيوطي: «كلام الله تعالى، وهو القرآن الكريم، وكلام نبيّه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده صلى الله عليه وسلم» [2].

ولعل الاحتجاج بالشعر من الظواهر التي برزت مبكرة، حتى يروى أن عمر بن الخطاب قال: «أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم» [3].

وقد جاء الاستشهاد بالشعر متنوعا ببيت كامل، أو بجزء منه، سواء أكان معروف القائل أم مجهوله، قال الجرمي: «نظرت في كتاب سيبويه، فإذا فيه ألْف وخمسون بيتا، فأما الألْف فقد عرفت أسماء قائليها فأثبتُّها، وأما الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها » [4].ولا تخفى أهمية الشواهد من ناحية تعليمية، فهي تأتي مُثبتة للقاعدة، وهذا من شأنه أن يُساعد المُتعلم في تمثيل القواعد، إضافة إلى أنه يجعل المُتعلم على صلة مستمرة مع زمن الاحتجاج، تلك المرحلة التي يحرص النحاة على بقائها ماثلة في الأذهان[5].

---

[1]التهانَوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 1002/1.

[2]السيوطي، الاقتراح في علوم أصول النحو، ص24.

[3]محمد حسن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، ص53.

[4]عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 17/1.

[5]حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص123.

**ج- المعيارية والعمل النحوي:** إن من أبرز الظواهر اللغوية التي لفتت أنظار النحاة تغير أواخر الكلم، مما جعلهم يُجدون في إيجاد تفسير مناسب لهذه الحركات، يُعين الباحث في إيجاد تعليل مناسب لوجودها، كما أنه يُساعد المتعلم في بناء تصوّر واضح يعينه في تشكيل كفاية تمكنه من أداء مناسب، ومن هنا كانت فكرة العَامل نتيجة من نتائج البحث عن تعليل مناسب لهذه الظاهرة اللغوية التي تؤدي إلى مثل هذا الترابط بين أجزاء التراكيب اللغوية، وقد شكلت فكرة العامل [*]. دستورا للنحاة [1].

**المبحث الثالث: الاتجاه التاريخي:**

تنحدر اللغة العربية من أرومة اللغات السامية، ونلحظ أن ما سُمي بعصر الاحتجاج هو في حقيقته عصور لغوية عديدة، تمتد على رقعة زمانية ضاربة في عمق الزمن، إلى ما لا يقل عن ثلاثمائة عام، تطورت اللغة خلالها وقبلها تطورا أثر فيه اختلاف الزمان، والمكان، والجوار لأمم مختلفة، كالفرس، والإغريق، والسريان. ولعل بناء تصور عن جهود النحاة التاريخية يتطلب منا دراسة ملمحين عندهم، هما:

1- **الملمح التاريخي المُقارن:** وأقصد به تلك الإرهاصات التي تنتمي إلى المنهج الذي يجتهد في مقارنة الظاهرة اللغوية بما يناظرها في لغات أخرى.

2- **الملح التاريخي التطوري:** وأقصد به تلك الإرهاصات التي تنتمي إلى المنهج الذي يرمي إلى الوقوف على أطوار الظاهرة في اللغة الواحدة، مع بيان أثر الزمان والمكان

---

[*] صنف النحاة الكلم إلى اسم وفعل وحرف، وصنفوا الكلمات وفقا لما يطرأ على أواخرها من تغيِّر وعدوه أثرا للعامل، فصُنفت إلى مبنية ومُعربة، ولما كان البناء والإعراب بأثر من العامل، فقد قاموا بتصنيف العوامل إلى: العوامل اللفظية والعوامل المعنوية. ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص128،127.

[1] ينظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص29.

في تطورها، دون أن يحتاج ذلك إلى المقارنة بلغات أخرى، فإذا استعان الباحث بالمقارنات اللغوية الأخرى، يكون قد فتح باب المنهج التاريخي على أوسع نطاق، ويكون بذلك قد سار على المنهج التاريخي المقارن.

1-**الملمح التاريخي المُقارن:** وردت إشارات مبكرة عند اللغويين الأوائل، يقارنون فيها بين الظواهر اللغوية في لغتين، كالفارسية والعربية، كما في "الكتاب" "لسيبويه"، وهنالك إشارات أخرى " للخليل بن أحمد" و " ابن حزم"، وفي هذا ما يدل على أن بدايات المنهج التاريخي المُقارن ترجع زمنيا إلى ما هو أبعد من القرن الرابع الهجري، إذ زُعم بعودة الدراسات اللغوية إلى لغويين يهود عاشوا في كنف الدولة الإسلامية في شتى أقطارها ، ويُذكر من أشهر اللغويين اليهود في الأندلس والمغرب (يهودا بن قريش التاهرتي)، الذي عاش في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)، ألّف كتاب بالعربية، درس فيه العلاقة بين العبرية والآرامية، وبين العبرية والعربية. ويُذكر أيضا " أبو إسحاق بن بارون"، الذي ألف كتابا بالعربية في أواخر القرن الحادي عشر ميلادي بعنوان: " الموازنة بين اللغة العبرية واللغة العربية"[1].

ومن إشارات علماء العربية التي تُنبئ عن محاولتهم لربط العربية بغيرها من اللغات ما يأتي: روى " ابن سلام الجمحي " عن العالم النحوي المشهور "أب عمرو بن العلاء" ( ت 154هـ) أنه قال[2]: «العرب كلها ولد إسماعيل، إلا حِمْير وبقايا جُرْهُم» [3]. وروى قوله: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا» [4].

---

[1]حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص141، 142.

[2]المرجع نفسه، ص143.

[3]محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص9.

[4] المرجع نفسه، ص11.

وكشف " سيبويه" عن بعض الفروق بين العربية وغيرها، كالفارسية والعبرية في الأصوات والصيغ وذلك في باب ( ما أُعرب من الأعجمية) [1].

وحاول " المبرد" ( ت 286هـ) الربط بين العربية وغيرها من حيث تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، بقوله: «فالكلام كله: اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى، لا يخلو الكلام –عربيا كان أو أعجميا– من هذه الثلاثة»[2].

وألف "أبو حيان" ( ت745هـ) تأليفا مستقلا وضّح فيه العلاقة بين العربية والحبشية في المفردات والتراكيب، وهو كتاب مفقود بعنوان "جلاء الغبش عن لسان الحبش"[3].

2–**الملمح التاريخي التطوري:** تبدو ملامح الاتجاه التاريخي التطوري عند النحاة في النقاط الآتية:

1–كانوا أحيانا يردون الأبواب التي يتحقق أداؤها بأكثر من حرف إلى حرف واحد في الأصل، وذلك كان يروا أنّ الباء هي أصل حروف القسم، يقول "ابن جني"[4]: «والحروف التي يصل بها القسم إلى المُقسم به ثلاثة، وهي: الباء، و الواو، والتاء، فالباء: هي الأصل» [5]. والمقصود هو الأصل التاريخي.

2–محاولة النحاة ردُّ بعض الألفاظ إلى الأصول التي يظنون أنها تكونت منها، من ذلك:

أ– يرى "الخليل" أن "ليس" مركبة من " لا أيس" فطرحت الهمزة وألزمت اللام بالياء[6].

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، 446/4، 447.

[2] المبرد، المقتضب، 02/1.

[3] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص144.

[4] المرجع نفسه، ص 148.

[5] ابن جني، اللمع في العربية، ص121.

[6] ابن منظور، لسان العرب، مادة ليس، 265/13.

ب- ذهب "الخليل" إلى أن أصل "لن" هو "لا، أن" ولكنهم حذفوا لكثرته في كلامهم.

ج- ذهب "الزمخشري" إلى أن أصل "هُمْ" هو " هُمو" وإنما حذفت الواو لتوالي الضمات، وثقل الواو[1].

د- ذهب بعض النحاة إلى أن الأصل في " حبذا" هو " حبُب ذا"، فأدغموا الباء في الباء كراهية اجتماع المثلين[2].

وفي الأخير نقول: إن البعد التاريخي لو شكَّل عند النحاة منهجا مطردا، لجعل الفرصة أمامهم مواتية لإعطاء صورة وافية عن اللهجات العربية، فليس لدينا صورة كاملة عن لهجات العرب الخاصة بأصواتها ومفرداتها وتراكيبها [3].

---

[1] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص149.

[2] الزجاجي، الجمل في النحو، ص110.

[3] حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، ص151.

## المحاضرة الثالثة: مدرسة البصرة النحوية

الحديث عن مدرسة البصرة هو الحديث عن النحو العربي منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر، فالذي لا شك فيه أن النحو – بصورته المعروفة– نشأ بصريا وتطور بصريا، وذلك لا جدال وُجِّه من وجوه الضعف فيه[1].

ويمكن أن نرد أسباب وضع النحو العربي إلى بواعث مختلفة، منها الديني ومنها غير الديني. أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما... وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة [2].

وانضمت إلى ذلك بواعث أخرى، بعضها قومي عربي، يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين امتزجوا بالأعاجم، مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفا عليها من الفناء والذوبان في اللغات الأعجمية. وبجانب ذلك كانت هناك بواعث اجتماعية ترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثّلها تمثلا مستقيما، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما. وكل ذلك معناه أن بواعث متشابكة دفعت دفعا إلى التفكير في وضع النحو، ولا بد أن نضيف إلى ذلك رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نموا أعدَّه للنهوض برصد الظواهر اللغوية [3].

ويكاد الدارسون يجتمعون على أن النحو العربي نشأ لحفظ القرآن من اللحن، وهم يقدمون في ذلك روايات كثيرة عن "أبي الأسود الدؤلي" وصنيعه في النحو من أنه نفسه وضع النحو، أو أنه أخذه عن سيدنا "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه. غير أن الشيء

---

[1] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص09.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص12.

الوحيد الثابت هو أن " أبا الأسود" وضع ضبط القرآن بالنقط وأنه قال لكاتبه [1]:«إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه إلى أعلاه، وإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف» [2].

وكان هذا العمل الخطوة الأولى في عمل النحو، ... ولم يكن هذا العمل يهدف إلى حفظ النص من اللحن فقط كما وقر في الأذهان، وإنما كان يهدف إلى غاية أبعد في أصول الحياة الإسلامية، ذلك أن المسلمين عرفوا –بداية– أن عليهم أن يقرأوا القرآن وأن "يفهموه" لأنه هو الذي ينظم حياتهم، ومن ثم نستطيع تفسير نشأة الحركة العقلية العربية كلها بأنها كانت نتيجة نزول القرآن الكريم، فهي كلها من نحو وصرف وبلاغة وتفسير وفقه وأصول وكلام تسعى إلى هدف واحد هو " فهم" النص القرآني الكريم. ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن " أبا الأسود" كان من أئمة القراء، وأن "ابن أبي إسحاق الحضرمي"، و"عيسى بن عمر" كانا من القراء، وأن "أبا عمرو بن العلاء" هو إمام البصرة في القراءة وأحد القرّاء السبعة كذلك. النحو إذا نشأ " لفهم" القرآن الكريم، وفرق كبير بين علم يسعى " لفهم" النص وعلم يسعى " لحفظه" من اللحن. ولو كانت الغاية منه حفظ النص من اللحن لما أنتج العرب هذه الثروة الضخمة في مجال الدرس النحوي [3].

وقد اشتهر في البصرة مركزان قاما بنشر الثقافة والدعوة إليها وترغيب الناس فيها، وكانا صدري إشعاع في هذه البلاد الإسلامية التي بقيت ملتقى التجار ومجمع العلماء ومركز الحضارة، وفي هذين المركزين الثقافيين اختلطت الأفكار العربية الإسلامية بالحضارات الأجنبية وأصبحت الثقافة مزيجا اتضحت فيه الثقافة العربية الإسلامية

---

[1] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص09.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص 60.

[3] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص10.

اتضاحا بينا، وكانت هي الغالبة لأن القرآن عربي وطابع الحكم فيه عربي، وهذان المركزان هما: "المسجد الجامع" و"المِربَد" [1].

1- **المسجد الجامع:** كان أول ما أسس " عتبة بن غزوان" عند تمصيره البصرة سنة أربع عشرة للهجرة [2] مسجدها الجامع، وقد كان متوسطا المدينة تحيط به الدور والأحياء، وذلك لأنه المكان الذي يجتمع فيه أهل المصر لأداء فريضة الصلاة، وليتباحثوا في أمور دينهم ودنياهم، ويعقدوا فيه الاجتماعات العامة التي يدعو إليها الخليفة أو وُلاته عند إعلان الجهاد، ثم أصبح مجمعا للعلماء والفقهاء والمحدِّثين والمقرئين والقُصاص واللغويين، وفيه تعقد مجالس الدرس وحلقات الشيوخ التي كان من أشهرها: مجلس الحسن البصري (ت110 هـ)، كان يجتمع فيه الناس على اختلاف نزعاتهم لسماع قراءته للقرآن الكريم، ... فقد كان زعيم المدرسة القرآنية بالبصرة[3].

ومجلس "واصل بن عطاء" (ولد 80 هـ-ت 131هـ)، وقد كان يجلس أول الأمر في مجلس " الحسن البصري" ثم اعتزل مجلسه لإثارته أقوالا كان يبثها بين المُجتمعين فطرده الحسن، وكوّن له مجلسا مستقلا كان يثير فيه مسائل يشتد الجدل حولها ويقوى ويتجه اتجاها عقليا كلاميا، وقد قام نتيجة لهذا مذهب الاعتزال، وظهر بعده علم الكلام في هذا المجلس أيضا [4]. ومجلس " حمّاد بن سلمة" ( ت 165هـ) المُحدِّث المشهور بالفصاحة والمعدود من متقدمي النحاة. وكانت تعقد في المسجد حلقات للقراءة واللغة

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص28.

[2] ينظر: شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، 432/1. وأحمد بن يحي بن جابر البغدادي، فتوح البلدان، ص354.

[3] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص28.

[4] اليافعي، مرآة الجنان، 274/1.

والنحو، يزدحم فيها طلبة العلم والدارسون، من أشهرها حلقة "أبي عمرو بن العلاء" أحد القراء السبعة، وحلقة " الخليل بن أحمد الفراهيدي" [1].

2- **المِربَد:** كان المربد سوقا بالبصرة ومناخا للإبل، وكان يسمى "سوق الإبل" وكان شبيها بسوق عكاظ الذي كان أصله سوقا لتبادل السلع، ثم أصبح مقصد القبائل العربية يجتمعون فيه. وقد أصبح المربد بعد تمصير البصرة مثابة للخطباء والشعراء من البادية والحاضرة يتناشدون الأشعار ويتفاخرون بأحسابهم وأنسابهم ومآثرهم، ولم يكن هؤلاء الشعراء ممن يقيمون في الحاضرة، وإنما كانوا أعرابا، فمقام "الفَرزدق" بادية البصرة، ومقام "جرير" بادية اليمامة، و"الأخطل" بادية بني تغلب، ... وكان غيرهم من الشعراء يفضلون الإقامة في البادية ويختلفون إلى المربد في المواسم التي يلتقي فيها البدو والحضر والشعراء والنقاد واللغويون والنحويون الذين كانوا يحضرون لمشافهة الأعراب الذين ما زالت سلائقهم سليمة وفصاحتهم لم تشبها شائبة التحضر، وليضعوا على ما يسمعونه عنهم أصولهم في الدرس النحوي واللغوي بعد ملاحظة أساليبهم في التعبير ورصدها ودراستها [2].

ولما كانت العلوم في الأمم لا تظهر فجأة، بل تأخذ في الظهور رويدا رويدا حتى تستوي على سوقها، كان ذلك مدعاة في كثير من الأمر لأن تغمُض نشأة بعض العلوم، وأن يختلط على الناس واضعوها المبكرون. وهذا نفسه ما حدث فيمن نُسبت إليهم الخطوات الأولى في وضع النحو العربي، وفي ذلك يقول " السيرافي": اختلف الناس في أول من رسم النحو، فقال قائلون: "أبو الأسود الدؤلي"، وقيل: هو "نصر بن عاصم" وقيل: بل هو " عبد الرحمن بن هرمز"، وأكثر الناس على أنه " أبو الأسود الدؤلي"[3]

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص29.

[2] المرجع نفسه، ص30.

[3] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص13.

(ت 69هـ)، الذي استطاع بحثٍّ من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وولاتهم على العراق ولا سيما البصرة أن يبتدع طريقة نقط المصحف، وقد تم ذلك بمساعدة كاتب نبيهٍ متيقظ كان يتابع حركة شفتي " أبي الأسود" في أثناء قراءاته آيات القرآن الكريم ويضع العلامات كما علمه "أبو الأسود" بقوله: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين» وهذا ما سمي فيما بعد "نقط أبي الأسود" أو " نقط الإعراب" [1].

وحمل هذا الصنيع عن "أبي الأسود الدؤلي" تلاميذه من قراء الذكر الحكيم، وفي مقدمتهم " نصر بن عاصم" ( ت 90 هـ)، و " عبد الرحمن بن هرمز" ( ت 117هـ)، و"يحي بن يعمر" ( ت 129 هـ)، و " عنبسة الفيل" ، و " ميمون الأقرن" [2].

وقد أخذ المسلمون يقرأون المصاحف مستهدين بنقط "أبي الأسود"، فواجهتهم صعوبة أخرى، ذلك أن مجموعات من حروف الهجاء العربي تتشابه في الخط وتختلف في النطق، ولكي يحافظ علماء المسلمين على القرآن الكريم من التصحيف، انتدب "الحَجَّاجُ" هؤلاء العلماء للتفكير في طريقة لوضع علامات تميز هذه الحروف، فهبَّ إلى ذلك " نصر بن عاصم الليثي" فجمع الحروف العربية وأحصاها ثم صنفها إلى مجموعات متشابهة، وميز بينها بالنقاط. ولما خِيف التباس نقط الإعراب الذي وضعه "أبو الأسود" بنقط الإعجام الذي وضعه " نصر بن عاصم"، أخذ علماء المسلمين يميزون بين النَّقْطين باستخدام حبر مخالف في اللون، حتى جاء " الخليل بن أحمد الفراهيدي" الذي تنبه لنطق الحروف العربية اللينة على أن الفتح أو الضم أو الكسر –كما سماها " أبو الأسود"– إنما هو نطق مخفف للألف والواو والياء، فرَمَز للفتحة بما هي جزء منه وهي الألف وجعلها

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص42، 43.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص16.

صغيرة مائلة فوق الحرف، ورمز للضمة بأصلها وهي الواو الصغيرة فوق الحرف أيضا، وللكسرة بما هي جزء منها أيضا وهي الياء توضع تحت الحرف. وإنما وضع " الخليل" هذه العلامات التي ترجم بها ما عبٍّ عنه "أبو الأسود" بقوله: (فتحت، ضممتُ، كسرتُ) بناء على ما كان يراه من أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد، فالفتحة من الألف، والكسرة من الياء، والضمة من الواو. أما عدم الحركة فسماه "البناء" وهو الساكن الذي لا زيادة فيه، ولهذا لم يضع له "أبو الأسود" علامة، وترك نقطه فهو خال من الحركة، ووضع الخليل لما نعرفه اليوم بالتنوين [1].

ومن النحاة الذين جاءوا بعد "أبي الأسود" وتلاميذه، نحاة مشهورون لهم آراء في النحو مذكورة في كتاب "سيبويه" وهم شيوخ "الخليل" أو "سيبويه" أو شيوخهما معا، وهؤلاء هم: "عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي" (ت 117هـ) الذي يعد أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، و يتبعه جيل من تلاميذه، في مقدمتهم "عيسى بن عمر الثقفي" ( ت149هـ)، و "أبو عمرو بن العلاء" ( ولد 70هـ- ت154هـ)، و"يونس بن حبيب البصري" (ولد 94 هـ- ت 182هـ)، و تذكر كتب طبقات النحاة طائفة ممن عنوا بالعربية من معاصري تلاميذ "ابن أبي إسحاق الحضرمي"، لعل أشهرهم "حماد بن سلمة بن دينار البصري"،... ومثله معاصره " الأخفش الأكبر" شيخ " يونس" وسيبويه". وعندما وصل النحو إلى " الخليل" وتلاميذه نجده قد قطع مرحلة كبيرة من التطور بفضل هؤلاء الأعلام الذين تعاقبوا على تطويره ومتابعة كلام العرب الموثوق به وآيات كتاب الله، وكان للخليل (ولد 100 هـ- ت 170هـ) فضل التطوير والوصول به إلى ما وجدناه في كتاب "سيبويه". وقد كان الخليل يختلف منذ نعومة أظفاره إلى حلقات المُحدِّثين والفقهاء وعلماء

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص43، 44.

اللغة والنحو، وأكبَّ إكبابا على حلقات أستاذيه "عيسى بن عمر" و "أبي عمرو بن العلاء"، ... وكان صديقا "لابن المقفع"، فقرأ كل ما ترجمه [1].

والكتاب الذي اتبعه النحويون، والذي عرف بأنه "قرآن النحو" هو "الكتاب" لـ"سيبويه" ( ولد 135هـ- ت 180هـ). والحق أن التغيير الذي طرأ على النحو كما قدمه سيبويه ليس تغييرا في الجوهر، ومن الواضح أن "سيبويه" لم يكن له الفضل الأكبر في تأليف "الكتاب" بل أخذ معظمه عن أستاذه " الخليل بن أحمد"، فكلما قال "سيبويه" "سألته" أو قال"قال" من غير أن يذكر قائله فهو " الخليل بن أحمد"[2].

وقد التحق " سيبويه" بحلقات الفقهاء والمحدِّثين، ولزم حلقة " حمّاد بن سلمة بن دينار" المحدِّث المشهور، وحدَث أن لفته إلى أنه يلحن في نطقه ببعض الأحاديث النبوية، فصمم على التزود أكبر زاد بشؤون اللغة والنحو، ولزم حلقات النحويين واللغويين [3]، وفي مقدمتهم " عيسى بن عمر الثقفي" الذي طلب منه النحو أولا، وكذلك "أبو عمرو بن العلاء"، و" الأخفش الكبير أبي الخطاب"، و "يونس بن حبيب"، مع ملازمته حلقة "الخليل"[4]، وأخذ منه كل ما عنده في الدراسات النحوية والصرفية، مستمليا ومدونا، واتبع في ذلك طريقتين: طريقة الاستملاء العادية، وطريقة السؤال والاستفسار، مع كتابة كل إجابة وكل رأي يدلي به وكل شاهد يرويه عن العرب، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية[5].

---

[1] ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص22-56. وينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص53-73.

[2] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص 12.

[3] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص57.

[4] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص79.

[5] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص57.

ومن المؤكد أن " سيبويه" بدأ تأليف "الكتاب" بعد وفاة "الخليل"، إذ نراه في بعض المواضع يعقِّب على ذكره لاسمه بكلمة " رحمه الله". وقد حمله عنه تلميذه " الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة" ( ت 211هـ)، وأذاعه في الناس باسم " الكتاب"[1].

ومن بين تلاميذ " الأخفش الأوسط": "قطرب" ( ت 206هـ)، و "أبو عمر الجَرْمِيّ" ( ت 225 هـ)، و "أبو عثمان المازني" ( ت 249هـ) [2]. والذي يعد آخر أئمة المدرسة البصرية المهمين هو : " المبرد"[*] ( ولد 210هـ- ت 285هـ)، إذ أكبّ منذ نشأته على التزود من اللغة على أعلام عصره البصريين، وشُغف بالنحو والتصريف، فلزم "أبا عمر الجرمي" يقرأ عليه كتاب "سيبويه" حتى إذا توفي لزم "أبا عثمان المازني"، وتصدر حلقته يقرأ عليه الكتاب[3].

وقال " السيرافي" في " المبرد" أنه كان آخر أئمة النحو البصري المشهورين، والذي ختم به كتابه "أخبار النحويين البصريين"، وقد توفي بعد " المبرد" بحوالي ثمانين سنة، ولم ير نحويا نبغ نبوغ "المبرد" فعده خاتمة البصريين[4].

وقد ذكر "ابن جني" "المبرد" فقال فيه: «يعدّ جبلا في العلم، واليه أفضت مقالات أصحابنا، وهو الذي نقلها وقررها وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها» [5].

ومن تلاميذ " المبرد" "أبو بكر بن دريد" الذي اشتهر بالمباحث اللغوية، واشتهر "ابن درستويه" بالمباحث الصرفية، بينما اشتهر بالمباحث النحوية "الأخفش الصغير علي بن

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص108-122.

[*] له كتاب "المقتضَب" وهو أشهر كتاب ظهر في علمي النحو والصرف وما يتبعهما من دراسة صوتية بعد كتاب سيبويه، وكتاب المقتضب يمثل استقرار المذهب البصري.

[3] ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص123.

[4] ينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص94.

[5] ابن جني، سر صناعة الإعراب، 129/1، 130.

سليمان" ( ت 315هـ)، و "محمد بن علي" المعروف باسم " مَبْرمان" ( ت 326هـ)، وأشهر منهما في تلك المباحث " الزجَّاج" ( ت 310هـ)، و "أبو بكر بن السراج" ( ت 316هـ) اللذان انتهت إليهما الرياسة في النحو البصري والإمامة فيه بعد المبرد، ونبغ من تلاميذ "ابن السراج" "السيرافي" ( ولد 280هـ- ت 368هـ)، وبه تنتهي المدرسة البصرية[1].

**مصادر الدراسة عند البصريين:**

وجملة المصادر التي عُني النحاة البصريون بالأخذ منها هي:

1-**القرآن الكريم:** وهو أصدق مرجع، وأصح مصدر يرجع النحاة إليه في تقنين القوانين، واستخراج الأصول، لأن العربية لم تشهد كتابا أحيط بالعناية، واكتنف بالرعاية منذ زمن مبكر مثل القرآن الكريم .

2-**الشعر الجاهلي والإسلامي:** وقد استشهدوا بشعر "جرير" و "الفرزدق" و العجاج" و "رؤبة"، و "أبي النجم" و عنوا أيضا "ببشار بن برد"، فاستشهدوا بشعره[2].

3-**الفصحاء من العرب:** وهم سكان البادية الذين بعدوا عن التأثر بلغات أجنبية، والذين ينتمون في الغالب إلى "قيس" و "تميم" و "أسد" و "هذيل" و"كنانة" و"طَيِّئ". والفصحاء من غير العرب أيضا، ممن صحت سلائقهم، واطمأن العلماء إلى قوة ملكاتهم، "كالحسن البصري"[3]، الذي قال فيه "أبو عمرو بن العلاء": «ما رأيت أفصح من الحسن البصري ومن الحجّاج بن يوسف الثقفي،

---

[1] ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص134، 135.

[2] ينظر: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، 6/1. وينظر: مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص51.

[3] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص51، 52.

فقيل له: فأيهما كان أفصح؟ قال: الحسن» [1]. وورد في "البيان والتبيين": «لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج» [2].

**الأمثال**، وما جرى مجراها من عبارات قصيرة حفظها الاستعمال، وشاعت على الألسنة، كقول العرب: "الصَّيفَ ضيعتِ اللبن". "رجع بخفي حنين". "تمرة خير من جرادة". إلى غير ذلك مما يُطمأن إلى صحتِّه وصحة الاستشهاد به. أما الحديث فلم يجوِّز اللغويون والنحاة الأولون، "كأبي عمرو بن العلاء" ، و "عيسى بن عمر"، و "الخليل بن أحمد" من البصريين، و "الكسائي" ، و "الفراء" وغيرهم من الكوفيين الاستشهاد به في النحو [3].

**منهج المدرسة البصرية:**

ذهب الدارسون في عصرنا إلى أن البصريين أخذوا بالقياس كما أخذوا بالسماع. إننا نلمح هذا في نقضهم لمسائل الكوفيين، فقد أبوا أن يستدلوا بشاهد لم يعرف قائله، وحملوا كثيرا من الشواهد التي خرجت على المسموع الشائع في أنها شاذة أو أنها ضرورة. وعلى ذلك لا يمكن أن تكون أساسا في حكم. وهم في ذلك قد ذهبوا إلى أن الكوفيين أخذوا كل ما سمعوا عن العرب فجعلوه أصلا يقاس عليه. وكأنهم أرادوا أن يقولوا: إن الكوفيين لم يتوثقوا مما اعتمدوه أصلا، فقد قاسوا على النّادر والشاذ، ولم يتحروا صحة ما يصل إليهم من مواد[4].

---

[1] ابن خَلِّكَان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 70/2.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، 149/1.

[3] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص52.

[4] إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص17.

إن اهتمام "سيبويه" بالسماع عمن يوثق بعربيتهم كثير، نجده واضحا في "الكتاب" في مواضع كثيرة[1]. وهذا يعني أن سيبويه ومثله سائر البصريين يتشددون في السماع تشددهم في القياس، فهم لا يأخذون إلا عمن يوثق بعربيتهم فصاحة وأصالة مبتعدين عمن لا يُطمأن إليهم بسبب مخالطتهم غير العرب من الذين جاوروهم أو كانوا على مقربة منهم[2].

وكأن "السيوطي" قد لخص الأمر فقال: «اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا يقيسون على الشاذ، والكوفيين أوسع رواية» [3].

و «قال: ومما افتخر به البصريون على الكوفيين أن قالوا: نحن نأخذ اللغة عن حَرَشَة الضِّباب وأكلة اليرابيع[*]، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشوارِيز وباعة الكواميخ[**]» [4].

وجاء في "المزهر" "للسيوطي": قال أبو حاتم: إذا فسرتُ حروف القرآن المُختلف فيها، وحكيتُ عن العرب شيئا فإنما أحكيه عن الثقاة منهم مثل: أبي زيد، والأصمعي، و أبي عبيدة، و يونس، وثقاة من فصحاء الأعراب وحملة العلم، ولا ألتفت إلى رواية الكسائي، والأحمر، والأَموي، و الفراء وغيرهم.

ويأخذ البصريون على الكوفيين شيوع الدخيل في عربية أهل الكوفة، فقد جاء في البيان والتبيين «وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة، ويسميها أهل الكوفة

---

[1] ينظر: سيبويه ، الكتاب، 83/1، 87.

[2] إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص19.

[3] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص114.

[*] أي البدو الخُلَّص.

[**] أي عرب المدن.

[4] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص 114.

الجهارسوك، والجهارسوك بالفارسية، ويسمون السوق والسويقة "وازار"، والوازار بالفارسية، ويسمون "القثاء" خيارا، والخيار بالفارسية، ويسمون المجذوم ويذي، بالفارسية» [1].

ومما يؤخذ على أوائل البصريين أنهم استبعدوا الحديث الشريف في استشهادهم، بحجة أن الحديث يشتمل على قدر كبير روي بالمعنى ولم يضبط بلفظه، وأن طائفة كبيرة من المحدِّثين لم يكونوا عربا ينتمون إلى أصول عربية هي موضع ثقة في عربيتها. وهذا نظر غير سديد، ذلك أنّ رجال الحديث قد تحروا التدقيق والضبط، وتشددوا في ضبط الحديث، وأخضعوا هذه اللغة الشريفة إلى ما دعوه "الجرح والتعديل"، الذي تناولوا فيه رواة الحديث، فكان لهم فيه موازين دقيقة، ومن هنا لم يكن للنحاة أن يرفضوا هذه اللغة التي بُولغ في نقدها وضبطها والوصول بها إلى الكمال في الصحة والصواب. وقد أثنى "الجاحظ" على جماعة من أهل العلم من الموالي "كالحسن البصري" و "عمرو بن فائد الأسواري" وغيرهما، بحيث اطمأن النحاة أنفسهم إلى علمهم فصحّ عندهم الاعتماد عليهم كما صح الاعتماد على " سيبويه" مثلا وهو غير عربي[2].

على أن المتأخرين من النحويين قد استشهدوا بالحديث، ومنهم " ابن مالك" و "أبو حيان". ونجد "إبراهيم السامرائي" يتساءل بقوله:«ولا أدري كيف يتخذ النحويون لغة الشعر مادتهم في الاستشهاد بحيث كان للشعر الغلبة على عامة الشواهد اللغوية والنحوية، ولم يأخذوا بالحديث؟ ومن المعلوم أن لغة الشعر لغة خاصة، للوزن والقافية فيها سلطان، ومن هنا جاز للشاعر ما لا يجوز للناثر، فكيف تكون مادة تقوم عليها قواعد النحو؟» [3].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، 40/1، 41.

[2] إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، ص26.

[3] المرجع نفسه، ص27.

## المحاضرة الرابعة: مدرسة الكوفة النحوية

مدرسة الكوفة النحوية حديثة العهد بالنشوء إذا قِيست بمدرسة البصرة النحوية، فقد سَبقت البصرة الكوفة بهذه الدراسة التي كانت عملا من الأعمال القرآنية. وكانت الاتصالات بين الكوفة والبصرة مستمرة منذ تمصيرهما، وكان التجاوب بينهما قائما، فلم يحدث شيء في البصرة إلاّ وجدتَ صداه في الكوفة، ... وكان الانتقال من مصر إلى مصر ميسَّرا للذين يرغبون فيه، وربما اتخذ الكوفيون المغضوب عليهم من البصرة مستقرا، هربا من السلطان، واستتارا من عيونه، كما فعل "سفيان الثوريّ" وغيره. وربما اتخذ بصريون من الكوفة مستقرا ومقاما أيضا، لأن الكوفة –فضلا عن أنها كانت مركزا سياسيا للأمصار الشرقية فترة طويلة من الزمن– كانت مركز الفقه والحديث والقراءة، ورواية الشعر والأدب، فليس غريبا إذن أن تنتقل هذه الدراسة من البصرة إلى الكوفة، إما مع الذين شدوا الرحال من الكوفة إلى البصرة طلبا للعلم، ثم رجعوا إلى الكوفة، وإما مع الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة [1].

وكان التنافس بين هذين المصرين شديدا، والخلاف محتدما من عدة نواح، من الناحية الحزبية فالكوفة علوية، والبصرة عثمانية. ومن الناحية العلمية فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة، وأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات، لأنهم أكثر اختلاطا بالأجانب من أهل الكوفة،... وكثرة انتقالاتهم للكسب والتجارة. والكوفة– مع ضعف الاتصال بين عناصرها العربية وعناصرها الأجنبية– أكثر تحرُّجا من أهل البصرة في الأخذ بثقافات الأجانب، لكثرة من فيها من الصحابة والتابعين، ومن الفقهاء وأهل الدين. هذه العوامل أحكمت أسباب الاختلاف والتنافس بين المِصْرِيْن[2].

---

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص65.

[2] المرجع نفسه، ص66.

**مراكز الثقافة في الكوفة:**

كان في الكوفة مراكز ساعدت على نشر الثقافة ونموها وازدهارها فقهية كانت أم لغوية أم أدبية أم نحوية، وقد كانت بداية العلم في الكتاتيب التي تعلم القراءة والكتابة والقرآن ثم تعلم اللغة والنحو والصرف وعلوم الأدب للصبيان خاصة، وكان الدارس فيها ينتقل بعدها إلى أحد مراكز الثقافة الأخرى التي كانت منتشرة في هذا المِصْر الإسلامي، والتي كان من أشهرها:

1- **مسجد الكوفة:** وكان من أكبر معاهد العلم فيها، فلم يكن يُتخذ للعبادة وإقامة الصلاة وإلقاء الخطب فحسب، وإنما كان مركزا للعلوم المتنوعة تعقد فيه حلقات لتعليم القرآن وقراءاته وتفسيره وفقهه، وحلقات للحديث وروايته ودرسه والقُصاص والوعاظ والفقهاء منذ العهد الأموي. ولما تنوعت العلوم في العصر العباسي تنوعت حلقات الدرس فيه واستمرت حلقات إقراء القرآن ودراسة قراءاته والتفقه في آياته وأحكامه، وحلقات الحديث وروايته وعلم رجاله، ونمت حلقات الدرس الأدبي واللغوي والنحوي فكان "للفراء" حلقة، وللشعراء والأدباء اجتماعات يروون فيها الشعر وينشدونه.

2- **دور الخلفاء والأمراء والوزراء والأغنياء من أهل الكوفة** التي كانت مركزا لنشر العلم والثقافة على اختلاف علومها المعروفة يومذاك، فقد كان أصحاب هذه الدور يتخذون لأولادهم معلمين خاصين.

3- **مجالس المناظرة:** كان لمجالس المناظرة التي يتهيأ لها المتناظرون سواء أكانوا فقهاء أم شعراء أم نحاة أم لغويين أكبر الأثر في نشر وازدهار الثقافة على اختلاف علومها. ولم يقتصر الأمر في انتشار الثقافة على هذه المراكز، وإنما كان للرحلة أثرها في تنمية العلوم وانتشارها بين الكوفة وغيرها من الأقطار، حيث يرحل الكوفي إلى البصرة ا والى بوادي نجد والحجاز للسماع والمناقشة والاطلاع ويعود

محملا بعلم هذه البيئات إلى الكوفة، كما فعل كثير من المؤدبين والمعلمين الكوفيين، وأشهرهم: "أبو جعفر الرؤاسي" ( ت 190 هـ)، و"الكسائي". وكان للبصريين الذين رحلوا إلى الكوفة أثرهم في نشر علوم اللغة، كما رحل الفقهاء إلى المدينة ومكة للأخذ من علماء الفقه فيهما، فكان لهذه الرحلات أكبر الأثر في انتقال الثقافات الإسلامية والعربية بين الأمصار الإسلامية، ولا سيما بين البصرة والكوفة مركزي الثقافة في العراق [1].

**بداية المدرسة الكوفية عند القدماء:**

تبدأ المدرسة الكوفية عند القدماء "بأبي جعفر الرؤاسي" وكان "أبو جعفر" هذا قد أخذ النحو عن "أبي عمرو بن العلاء" و "عيسى بن عمر الثقفي"، فهو في نظرهم بمنزلة "الخليل" في البصرة، لأنهما متعاصران، وأن كل منهما أخذ العربية عن الشيوخ الذين أخذ عنهم الآخر، لأن "الخليل" أخذ أيضا عن "أبي عمرو بن العلاء" و "عيسى بن عمر". وصنف "الزبيدي" في طبقاته نحاة الكوفة طبقات، جعل في الطبقة الأولى "أبا جعفر الرؤاسي" و "معاذ بن مسلم الهرَّاء" (ت 190هـ). وهكذا فعل غيره من أصحاب الطبقات، "كأبي البركات بن الأنباري"، و"ابن خلكان" و "ابن النديم" و "ياقوت" [2].

ولكننا لا نعلم أن كوفيا كان نحويا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة قبل "الكسائي"، فلا "معاذ الهراء" ولا "أبو جعفر الرؤاسي" ممن نضعهم في طبقة المؤسسين لهذه المدرسة النحوية، ولم نسمع أن أحدا من الكوفيين تخرّج بهما، واكتفى بما تلقّاه عنهما، وعرف بنحو خاص استمده منهما لا ينتمي إلى نحو أهل البصرة، و "الكسائي" (ولد 119هـ-ت 189هـ) و "الفراء" (ولد144 هـ- ت 207هـ) – وهما عماد المدرسة الكوفية- إنما عرفا

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص113-115.

[2] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص67.

النحو الاصطلاحي بدراستهما نحو البصرة، وتخرجهما بشيوخ بصريين. أما البصريون فهم إنما انتسبوا للمدرسة البصرية عن طريق كتاب "سيبويه"، فقد بهرهم الكتاب، وأعجبوا به غاية الإعجاب[1]، وكان "المازني" يقول: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب "سيبويه" فليستحي، وكان "المبرد" إذا أراد إنسان أن يقرأ عليه كتاب "سيبويه"، يقول له: هل ركبت البحر، تعظيما له، واستعظاما لما فيه[2].

فـ"الكتاب" هو قوام المدرسة البصرية ومحور نشاطها، وهو مادة علم البصريين، وأكثر ما جاءوا به أنهم كانوا يزيدون عليه شرحا وتفسيرا، وزيادات أخرى يستدركون بها ما فات سيبويه أو يؤيدون بها رأيا من أرائه. وأما الكوفيون فليست عنايتهم بالكتاب بأقل من عناية البصريين، إلا أنهم كانوا يقفون منه في أغلب الأحيان موقف الناقد، وكانوا يستمدون منه أيضا مادة درسهم الأولي،... وشيوخهم الأولون إنما تخرجوا به، وفي مقدمتهم " الكسائي" و " الفراء"[3].

ويرجع الفضل في إقامة وتأسيس مدرسة الكوفة النحوية إلى " الكسائي" وتلميذه "الفراء"، فهما المؤسسان الحقيقيان لهذه الدراسة، أخذوا نحو البصرة وغيروا فيه، ونهجا في دراسته منهجا مستقلا، سار عليه المنتسبون إلى هذه المدرسة[4].

وعليه فإن «الأئمة الذين كان لهم أثر في إقامة هذه المدرس وإنمائها ثلاثة، هم أساتذتها، ومرجع طلابها، وهم: علي بن حمزة الكسائي، ويحي بن زياد الفراء، وأحمد بن يحي ثعلب ( ولد 200هـ-ت 291هـ)» [5].

---

[1]مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص68.

[2] ابن النديم، الفهرست، ص77.

[3]مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص69.

[4]المرجع نفسه، ص74.

[5]المرجع نفسه، ص88.

ومدرسة الكوفة قد استمرت قرابة قرن ونصف قرن من الزمان، أي من منتصف القرن الثاني تقريبا إلى أواخر القرن الثالث تقريبا [1].

**مصادر الدراسة الكوفية:**

سبق أن عرفنا أن البصرة كانت قد سبقت الكوفة إلى الدراسة اللغوية زمنا طويلا، وأنها شهدت نحوا اصطلاحيا قبل أن تشهده الكوفة، وشهدت نحاة كان لهم أثر كبير في النهوض بهذه الدراسة التي انتقلت إلى الكوفة مع كوفيين كانوا قد رحلوا إلى البصرة لطلب العلم فيها، ثم رجعوا منها إلى الكوفة، لينشروا بين الدارسين فيها ما تلقوه هناك، من بينهم: "أبو جعفر الرؤاسي"، و "علي بن حمزة الكسائي" الذي ذهب فيمن ذهب من الكوفيين إلى البصرة، وأخذ عن "الخليل بن أحمد" أستاذ البصريين، وقد كان "الخليل بن أحمد" أستاذ العَلَمَين من أعلام العربية كان لكل منهما تلاميذ، ولكل منهما منهج، وهما:

- "سيبويه"، الذي قامت الدراسة البصرية على أعماله.
- و "علي بن حمزة الكسائي"، الذي انبنت الدراسة الكوفية على أعماله[2].

وللكوفيين طابعهم الخاص، ولهم مصادرهم التي أرجعوا إليها أصول دراستهم النحوية، وجملة هذه المصادر:

1- النحو البصري: كما تلقوه عن "عيسى بن عمر" و " الخليل بن أحمد" و " يونس بن حبيب"، وكما جاء به كتاب "سيبويه"، و "الكسائي" كان قد درَس الكتاب على "الأخفش"، و"الفراء" كان قد وقف عليه، واحتفظ لنفسه بنسخة منه، و "الجاحظ" كان قد أهدى إلى " محمد بن عبد الملك الزيات" نسخة منه، كانت بخط "الفراء" ومراجعة " الكسائي"، و "ثعلبا" كان متبحرا في مذهب البصريين.

---

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص87.

[2] المرجع نفسه، ص329.

2- **لغات الأعراب التي اعتمد عليها البصريون:** وهي لغات أعراب البوادي الذين بعدوا عن الأرياف، وبعدت لغتهم عن التأثر بلهجاتها، والذين نقل البصريون عنهم، واحتجوا بكلامهم من بين قبائل العرب [1]. «هم قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ، وعليهم اتُكل في الغريب، وفي الإعراب، والتصريف. ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة، فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم» [2].

3- **لغات أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها:** وهي لهجات عرب الأرياف، الذين وثَقوا بهم، كأعراب سواد الكوفة، من تميم وأسد، وأعراب سواد بغداد من أعراب الحَطْمية، الذين غلّط البصريون لغتهم، ولحنوها. ولا يعني قبولهم لهجات ولغات كان البصريون قد رفضوها، أنهم لم يكونوا يتشددون في قبول اللغات التي كانوا يعتمدون عليها في دراستهم، فقد استهجنوا لهجات، واستبشعوا لغات[3].

4- **الشعر العربي:** إن علماء اللغة البصريين كانوا يستشهدون بالشعر الجاهلي والإسلامي، ويحتجون به، بل لقد تجاوزوا ذلك حتى استشهدوا بشعر كثير من المحدَثين الذين وثقوا بفصاحتهم، وكان آخر من يحتج به عندهم "إبراهيم بن هرمة"[*] (توفي في النصف الثاني للهجرة، أي بعد 140 هـ)

---

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص330.

[2] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص33.

[3] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص330، 331.

[*] لقد وقف البصريون في اللغة المنثورة المَقِيس عليها عند منتصف القرن الثاني للهجرة، أي بنهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي. ينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص76.

والشعر العربي جاهلية، وإسلامية، ومحدَثه كان أيضا مصدرا من مصادر الدراسة الكوفية، ومحتجا للكوفيين، وأساسا بنوا كثيرا من أصولهم عليه[1].

5- **القراءات:** والقراءات مصدر هام من مصادر النحو الكوفي، ولكن البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية، وأخضعوها لأصولهم وأقيستهم، فما وافق منها أصولهم، ولو بالتأويل، قبلوه، وما أباها رفضوا الاحتجاج به، ووصفوه بالشذوذ، كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية، وعدوها شاذة تُحفظ، ولا يقاس عليها [2].

ويرجع اعتبار القراءات مصدرا لغويا للكوفيين إلى:

1-أن الكوفة كانت مهبط الصحابة، ففيها نزل عدد كبير منهم، وهم أو أكثرهم عرب، لا يُتهمون في فصاحتهم، وأصبحت الكوفة بهم موطن القراءات، وظهر فيها ثلاثة قراء، كانوا أئمة القراء في العراق، وهم: "عاصم بن أب النَّجود"، و "حمزة بن حبيب الزيات"، و"علي بن حمزة الكسائي".

2-وأن مؤسس هذه المدرسة وأستاذها أمام من أئمة القراءة، وهو "علي بن حمزة الكسائي".

3-وأن طابع الكوفيين في دراستهم ديني، ومن مظاهر هذا: عنايتهم بالقرآن، وصلة "الكسائي" به واضحة كل الوضوح، فهو من أئمة القراءة، وكتابه " معاني القرآن" شاهد ناطق بعناية الرجل بالأعمال القرآنية [3].

---

[1] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص333.

[2] المرجع نفسه، ص337.

[3] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص345-347.

أما الاحتجاج بالحديث النبوية فلم يرد في كتب النحاة الأوائل كوفيين كانوا أم بصريين أنهم عدوه من أصول الاحتجاج، ولا اعتمدوا عليه في استنباط قاعدة أو إثبات ظاهرة يؤخذ بها ويقاس عليها مما خالف منه الوارد في كتاب الله وكلام العرب الفصحاء منثوره ومنظومه، وقد كان "أبو الحسن بن الضائع" ( ت690هـ) أول من تنبه على أن "ابن خروف" قد احتج بالحديث وخالف بذلك سنة النحاة السابقين، ثم جاء "أبو حيان" ولاحظ مبالغة "ابن مالك" في بناء الأقيسة والقواعد عليه[1].

**منهج البحث عند الكوفيين:**

لعل أهم ما يميز المدرسة الكوفية من المدرسة البصرية اتساعها في رواية الأشعار وعبارات اللغة عن جميع العرب بدويِّهم وحضريهم، بينما كانت المدرسة البصرية تتشدد تشددا جعل أئمتها لا يثبتون في كتبهم النحوية إلا ما سمعوه من العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضّر وآفاته، وهم سكان بوادي نجد والحجاز وتهامة من [2] «قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ، وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضَري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم»[3].

ولم تقف المسالة عند حد الاتساع في الرواية، بل امتدت إلى الاتساع في القياس وضبط القواعد النحوية، ذلك أن البصريين اشترطوا في الشواهد المستمد منها القياس أن تكون جارية على ألسنة العرب الفصحاء وأن تكون كثيرة بحيث تمثل اللهجة الفصحى، وبحيث يمكن أن تُستنتج منها القاعدة المطردة، ... ... بينما الكوفيون اعتدوا بأقوال

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص77.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص159.

[3] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 211/1، 212.

وأشعار المتحضرين من العرب، كما اعتدوا بالأشعار والأقوال الشاذة التي سمعوها على ألسنة الفصحاء، ... وقاسوا عليها [1].

وأهم الفروق الرئيسة بين منهج الكوفيين ومنهج البصريين ثلاثة فروق هي:

1- إن الكوفيين كانوا يعتدون بالمثال الواحد، أو يعممون الظاهرة الفردية، ويقيسون عليها، في حين نجد البصريين يتشددون في التوصل إلى القاعدة من الأمثلة الكثيرة. فقد كان من عادة الكوفيين أنهم إذا سمعوا لفظا في شعر، أو نادر كلام جعلوه بابا[2]، وأنهم «لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء مخالف للأصول، جعلوه أصلا، وبوبوا عليه» [3].

2- إن الامثلة في النحو البصري توضع لتلائم الأصول الموضوعة، بحيث إذا اصطدم بأصل منها فزع إلى التأويل، فإن خضع له وإلا وصفه بالشذوذ، أو بالنُّدرة. أما الكوفيون فيعملون جاهدين على أن يغيروا الأصول، لتكون وِفق الامثلة المستعملة المسموعة.

3- إن نحاة الكوفة كانوا يلمحون الطبيعة اللغوية، ويمتازون بفهم العربية فهما لا يقوم على افتراضات وتكهنات، أو استهداء بقوانين العقل، وأصول المنطق[4]، فقد كانت السمة الغالبة على النحويين الكوفيين أنهم درسوا المادة اللغوية على أساس "وصفي"، أي بطريقة تقريرية تبتعد عن التعليل الفلسفي، وكلمة " الكسائي" في ذلك مشهورة حين «سئل في مجلس يونس عن قولهم: لأضربن أيُّهم يقوم؛ لِمَ لا يقال: لأضربن أيَّهم؟ فقال: أيٌّ هكذا خُلقت» [5].

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص161.

[2] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص376.

[3] السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، ص 114.

[4] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص376-379.

[5] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها،373/2.

و "هكذا خُلقت" هي جوهر المنهج الوصفي، والمنهج الوصفي هو أساس الدرس النحوي[1].

ولو تتبعنا أعمال الكوفيين لوجدناها قريبة الشبه مما ينادي به أصحاب الدرس الحديث، فمنهجهم العام يقوم على اعتماد المسموع من كلام العرب، والميل عن تحكيم المقاييس العقلية في القضايا النحوية[2].

---

[1] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية ، ص90، 91.

[2] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص381.

## المحاضرة الخامسة: المدرسة البغدادية

نشأ النحو في أحضان البصرة والكوفة –كما سبق أن ذكرنا– وتطور على أيدي العلماء الخالفين من كلا البلدين حتى وصل إلى درجة عالية من النضج والاستقرار، وذهبت البصرة بالشهرة الكبرى في الميدان، لكن الكوفة نافستها بحق، وبخاصة آخر عهد المدرستين، حيث تصدر لإمامة البصرة "محمد بن يزيد المبرد" (ت 285هـ)، وحيث رأس علماء الكوفة "أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب" (ت 291هـ). وشهدت بغداد نشاطا حيا في حلقتي هذين العالمين الجليلين، واشتد بينهما الصراع، وكثرت المناظرات مما جعل الدارسين يقبلون عليهما كليهما ويأخذون عنهما معا، ثم يتخيرون من هذا ومن ذاك ما يراه كل واحد مناسبا لتفكيره واتجاهه [1].

إذن «البغداديون قد أخذوا عن البصريين والكوفيين، ومادة الدرس عند هؤلاء وهؤلاء إنما هي النحو البصري المتمثل في كتاب سيبويه، وكل ما في الأمر أنهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء، وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء، ويسَّر لهم هذا أن بغداد كانت مقصد البصريين والكوفيين جميعا، لأنها عاصمة الخلافة الإسلامية وموطن الأعمال واكتساب الرزق...

فليس المذهب البغدادي إذن إلا مذهبا انتخابيا، فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا» [2].

لقد ازدهر إذن هذا النشاط النحوي في بغداد أواخر القرن الثالث، وما كاد القرن الرابع يبدأ حتى أخذت مدرسة بغداد تتميز بمنهجها الخاص. ولم يكن هذا المنهج جديدا من حيث الأسس أو طرائق الاستنتاج، ولكنه منهج ينبني على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية، ومن ثم رأينا الرواد الأول لمدرسة بغداد يقبلون على الكوفة ويزيدون من الأخذ عنها. لكنهم يأخذون عن البصرة، وإن كان ميلُهم إلى الكوفة أشد، وأشهر

---

[1] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص159.

[2] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص70.

هؤلاء الرواد "ابن كَيْسان"[*] (ت299هـ)، و"ابن شُقيْر" (ت 315 هـ)، و "ابن الخياط" (ت 320 هـ) [1].

وفي الاتجاه الثاني كان عدد آخر من العلماء يقبلون على البصرة ويأخذون عن الكوفة، لكن ميْلهم إلى البصرة أشد، وأشهر هؤلاء "الزجاجي"[**] (ت 337هـ)، و "أبو علي الفارسي" (ولد 288هـ–ت377هـ)، و "أبو الفتح عثمان بن جني" ( ولد 320هـ–ت392هـ). ويعتبر " أبو علي " وتلميذه "ابن جني" مثالا عجيبا على التلمذة والصحبة والنشاط والإنتاج العلمي، وقد قدما للعربية أعمالا لا تزال تحتل مكانتها العالية في الدرس اللغوي، كما أن أعمال "ابن جني" على وجه الخصوص تمثل تقدما كبيرا جدا في المنهج وفي الأسلوب وفيما وصل إليه من نتائج، بحيث إن كثيرا جدا مما قرره هذا العالم الكبير منذ ألف عام قد وجد قبولا من أحدث مناهج الدرس اللغوي[2].

تلك هي المنازع العامة للمدرس البغدادية، وكأنما اتجهت اتجاهين: اتجاها مبكرا عند "ابن كيسان" و "ابن شُقير" و " ابن الخياط" نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية وأكثروا من الاحتجاج لها، مع فتح الأبواب لكثير من آراء المدرسة البصرية، وأيضا مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، واتجاها مقابلا عند "الزجاجي" ثم عند "أبي علي الفارسي" و " ابن جني"، نزع فيه أصحابه إلى أراء المدرسة البصرية، وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد لا في مدرسة بغداد وحدها، بل في جميع البيئات التي عُنيت بدراسة النحو [3].

---

[*] يعد أول أئمة المدرسة البغدادية.

[1] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص159.

[**] لزم الزجاج البصري وقرأ عليه النحو، ومنه لزمه لقبه الزّجاجي.

[2] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص160.

[3] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص248.

وبعد هذين العالمين ( أبو علي الفارسي، وابن جني) بدأ العلماء يتتابعون – في بغداد– واحدا في إثر واحد، مع اتجاه أقوى إلى مدرسة البصرة، منهم "الزمخشري"[*] (ولد467هـ– ت538هـ)، و"ابن الشجري" (ولد 450هـ–ت 542هـ)، و "أبا البركات بن الأنباري" صاحب كتاب " الإنصاف" (ولد 513هـ– ت577هـ)، و "أبا البقاء العُكبَري" ( ولد 538هـ–ت 616هـ)، و "ابن يعيش" (ولد 556هـ– ت643هـ)، و " الرضي الاستراباذي" (ت 686هـ) [1].

**أشهر الدّارسين:**

تكونت من رجال الشيخين "المبرد" و "ثعلب" طبقة جديدة من الدارسين، تنوعت ميولهم ونزعاتهم، واحتدم الصراع بينهم فترة من الزمن، فمنهم من كان بصري النزعة في التعلم والتلقي، وفي الآراء والاتجاه، ومنهم من كان كوفي المذهب، ومنهم من أخذ عن هذا وذاك، أو اختار من آراء المذهبين، إلا أن الاختيار من المذهبين والتوسط بين النزعتين بلا انحياز إلى جهة كان قليلا، وكان الانحياز الطابع الغالب على الدارسين على الشيخين والمازجين بين المذهبين بسبب حدة الخلاف التي كانت قائمة بينهما ورغبة مؤيدي كل منهما في التفوق والتقدم والاشتهار، وبقي الأمر كذلك حتى قضى الشيخان نحبهما، وخلا الدارسون إلى أنفسهم وعادوا إلى النحو الذي تعلموه والعلم الذي أخذوه بعد أن انكسرت حدة العصبية لأحد الفريقين. عادوا في بداية القرن الرابع الهجري لعرض علم المذهبين ومنهجهما وآرائهما ونظروا في شواهد المدرستين وأصولهما وأقييستهما ليتعرفوا عليها ويتعمقوا النظر فيها ويقارنوا بينها من حيث الصحة والخطأ والقوة والضعف كي يستطيعوا أن يبنوا أحكامهم على أسس متينة صلبة، وكان ما يزال في هؤلاء الدارسين فئة تلقت من البصريين وحدهم، وأخرى تلقت عن الكوفيين، ونشأ نحوهم بصريا أو كوفيا

---

[*] له كتاب في النحو بعنوان "المفصَّل"، وشرحه " ابن يعيش".

[1] عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ص160.

خالصا، أو اختاروا مع هذا من آراء الفريق المخالف كـ "ابن قتيبة" الذي تلقى عن البصريين ولم يأخُذ عن كوفي ومع ذلك خلط في كتبه فأخذ عن الكوفيين مع غلوِّه في البصريين. ووجدت فئة ثالثة معهما أخذت النحو عن الفريقين، خلطت المذهبين وانحاز فريق منها إلى البصريين وآخر إلى الكوفيين، أو لم تخلط المذهبين وظل منهم البصري ومنهم الكوفي مع سماعهم عن الشيخين. "كالزجاج" الذي أخذ في أول عهده عن " ثعلب" إمام الكوفيين ولازمه وأخذ عنه كتب "الكسائي" و " الفراء"، فلما ظهر "المبرد" الرجل الغريب المتحدث في مسجد بغداد وذهب " الزجاج" ليناقشه، انحاز إليه ولازمه وهجر نحو الكوفيين ومصنفاتهم، ولم يخلط مع ذلك المذهبين في كتبه، وظل بصريا نحوا وآراء واعتقادا [1].

وقد اتضحت من بين هذه الفئات المتنوعة ثلاثة اتجاهات في الدارسين البغداديين:

1- من ظل اتجاهه بصريا سواء أكان بصريا أم لم يكن، وسواء أخذ عن شيوخ المدرستين أم عن البصريين فقط.

2-من ظل اتجاهه كوفيا سواء أكان ممن أخذ عن شيوخ المدرستين أو ممن أخذ عن الكوفيين فقط.

3-من خلط المذهبين البصري والكوفي في مؤلفاته وأرائه واختار منهما، سواء أخذ عن شيوخ المدرستين، أم اقتصر في الأخذ عن شيوخ إحداهما.

**من ظل بصريا:**

فمن أشهر الذين غلب عليهم الاتجاه البصري وعدوا من البصريين ولم يخلطوا: "الزجاج" ( ت 310هـ أو 316هـ)، و "ابن السراج" ( ت 316هـ)، و "الزجاجي" ( ت

---

[1] ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص111، 112. وينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص218.

337هـ)، و "المبرمان" ( ت 345هـ)، و "ابن درستويه" ( ولد 258هـ- ت 347هـ)، و "أبو علي الفارسي" ( ت 377 هـ)، و "ابن جني" ( ت 392هـ).

**من ظل كوفيا:**

"الحامض" ( ت 305هـ)، و "ابن الأنباري" (ولد 271هـ-ت 327هـ).

**من خلط المذهبين:**

"ابن قتيبة" ( ت 270هـ)، و "ابن كيسان" (ت 299هـ وقيل 320 هـ) ، و"الأخفش الصغير" (ت 315هـ)، و "ابن شُقير" (ت 317هـ)، و "ابن الخياط" ( ت 320هـ)، و "نطويه" ( ولد 244هـ- ت 323هـ)، و "الخزار"[1].

[1] ينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص218-225.

## المحاضرة السادسة: المدرسة الأندلسية

### الأندلس:

تم "لطارق بن زياد" تحرير الأندلس من حكم القُوط سنة 92هـ، حيث دخلها بجيش معظمه من شمال إفريقية، ولحقه "موسى بن نصير" بجيش مكون من قبائل عربية متعددة، ثم ازداد عدد المهاجرين إلى الأندلس وأصبح العرب فيها يمثلون القحطانيين والعدنانيين، وبدخول العرب المسلمين الأندلس بدأ الشعب الاسباني بالدخول في الدين العظيم، وانضووا تحت لوائه، إلا أن هذا التزايد في عدد المسلمين لم يؤثر أول الأمر في الحالة الثقافية للأندلس، واستمرت الحال كذلك لانشغال الولاة بما أحاط حُكمهم من حروب ومنازعات، واستمرت هذه المنازعات خمسا وأربعين سنة، تعاقب فيها على حكم البلاد أربعة وعشرون واليا، حتى دخلها "عبد الرحمن بن معاوية" سنة 138 هـ بعد زوال عهد الأمويين في الشام وقيام الدولة العباسية في بغداد، فأنقذ الحكم العربي الإسلامي في الأندلس من الانهيار وأقام الدولة الأموية في الأندلس، واستقرت الأحوال السياسية وتحسنت أمور البلاد اجتماعيا وثقافيا، وفي عهده بدأ اتصال أهل البلاد بالثقافة الإسلامية اتصالا منظما، واهتم أهل البلاد باللغة العربية لغة الدين والدولة. وشجع الخليفة الثاني "هشام بن عبد الرحمن" ( 172–180هـ) الفقهاء والمؤدبين، وفي زمانه دخل مذهب مالك الأندلس وثبت فيها، وجاء بعده "هشام بن عبد الملك" المعروف "بالربضيّ" ( 180–206هـ) فشجع العلماء وطور الثقافة العربية الأندلسية التي بلغت أوج نشاطها في زمن خليفته "عبد الرحمن الثاني" (206–238هـ) الذي أدخل إلى بلاطه الأدباء والشعراء، واهتم خلفاؤه بأن يكون لقصورهم مجد أدبي وثقافي يضاهي ما كان لقصور العباسيين مما أثَّر في تطوير الحياة الثقافية في مختلف المجالات، وقوى العنصر العربي حتى كاد عنصر المستعمرين يتلاشى ويختفي وتختفي معه الآداب اللاتينية، التي كانت ذائعة معروفة. وقد مرت الإمارة في زمن خليفته الأمير "محمد بن عبد الرحمن"

(238–273هـ) بأيام عصيبة، إلا أنه استعان بالفقهاء واستطاع أن يُرهب الثائرين من رعاياه ويخضعهم لسلطانه، غير أن نفرا من شيوخ المسلمين الإسبان ورؤسائهم لم يذعنوا بالطاعة لسلطان أمير قرطبة، فاستعان الأمير بشيوخ القبائل العربية ورؤسائهم على محاربة الخارجين عليه، فاستغل هؤلاء الشيوخ العرب الفرصة ومكنوا لأنفسهم في نواحيهم وأنشأوا لهم سلطانا مناهضا لسلطان الأمير. واشتد النزاع بين هذه الطوائف من عرب الأندلس والإمارة القوطية، وطال النزاع واشتد أمره حتى كاد يقضي على هذه الإمارة في عهد الأمير" عبد الله" ( 275–300هـ)، لولا أن منَّ الله عليها بـ"عبد الرحمن الناصر" (300–350هـ) فأنقذ الحضارة الإسلامية الزاهرة في الأندلس مما كان يتهددها من الأخطار الخارجية أو يضعفها من الخلافات الداخلية، فتمكن من إخضاع جماعات العرب لسلطانه، وأعاد للدولة الإسلامية هيبتها في الخارج، ونشر الرخاء والنظام والأمن في الداخل، وزاد في موارد ثروة البلاد بتشجيع الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والفنون. وقد صحب هذا التشجيع لعناصر الحضارة تطور في نواحي العلم والأدب وعلوم اللغة العربية، واستمر الحكم الأموي في الأندلس قويا في زمن ابنه "الحكم المستنصر" (350–366هـ) إلا أنه ضعف في زمن ولده " هشام " الملقب "بالمؤيد" (366–396هـ) لضعف شخصيته، فاستطاع "المنصور بن أبي عامر" بما كان له من قوة الشخصية وبمن كان يؤازره من عناصر جيش الخلافة الذين كانوا من المولدين والصقالبة، ومن البربر الذين جلبهم من إفريقية، أن يوقف كل تقدم للطامعين، وتمكن من الاستيلاء على مدن مهمة من بينها برشلونة، وقهر الأندلسيين على الطاعة لحكومة عسكرية مما أدى إلى اشتعال نيران الفتنة التي قصمت ظهر الأندلس بعد وفاته، والى تعثر الحضارة الأندلسية في سيرها في أيامه، فلم يتميز عصره بأية شخصية علمية بارزة في أي من العلوم والفنون. فقد ثارت قرطبة على أولاده من بعده وحلت الفتنة التي قضت على الخلافة في الأندلس، وتتابع على دفة الحكم خلال هذه الفتنة طوائف شتى، وقامت عقب سقوط الخلافة حكومة

في قرطبة عام 431هـ وكان الحال شبيها بهذا في مدن الأندلس الأخرى كالمريَّة وإشبيلية وطليطلة حتى منتصف القرن السادس حيث حكم المرية الأمير " المعتصم بن حماد" (546-587هـ) ونشر بنو ذي النون سلطانهم على المدن الأخرى، واستمر الحكم بيد ملوك الطوائف حتى تم عزلهم بمجيئ دولة المرابطين، التي كانت تحكم شمالي إفريقية بعد أن استنجد بهم أهل الأندلس، واختلف المؤرخون في حكم "يوسف بن تاشفين" وابنه "علي"، فوصفه بعضهم بالقوة والعدل، ووصفه آخرون بالاستبداد الذي ظلت عليه الحال حتى احتل الموحدون ما بقي في أيدي المسلمين من بلاد الأندلس، ثم خلف الموحدون قيام المماليك النصرانية متعاقبة فيها[1].

لقد دخل الشعب الإسباني في الدين الجديد بدخول الجيش العربي المُحرر لهم من حكم القوط، واحتاجوا إلى تعلم العربية بعد اختلاطهم بالعرب الذين استقروا في بلدهم عن طريق المعاملات، أو عن طريق التزاوج الذي كثر بينهم لحاجة المحاربين من العرب الذين نزلوا الأندلس إلى حياة عائلية مستقرة، فنشدوا الزواج من أهل هذه البلاد الذين أنعم الله عليهم بالإسلام، فأخذوا في تعلم لغة القرآن الكريم بعد أن أصبح المصدر الأول للتشريع في هذه البلاد، وقويت به اللغة العربية التي صارت لغة الدين والدولة. وتطورت العناية بها وبنشرها ودرسها والتأليف في علومها المختلفة دينية كانت أو لغوية، وساعدت على انتشارها أمور أخرى كان من أبرزها الرحلات التي كان يقوم بها المسلمون إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، فكانوا يطلعون خلال رحلاتهم هذه على ما نشأ في البلدان الإسلامية المشرقية من علوم وثقافات ودراسات، وكان الكثير من الأندلسيين يرحلون إلى المشرق لغرض غير الحج، وذلك للاطلاع على ثقافات هذه البلدان وعلومهم، ويعودون محملين بها إلى أرض الأندلس، ويقابل ذلك رحلة عدد من المشارقة ولا سيما العلماء

---

[1] ينظر ما جاء في هذه المقدمة : آنخِل جُنثالثْ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ص3-24. و ألبير حبيب مطلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ص 17-46.

باللغة والنحو وعلوم الدين إلى الأندلس، وصحبت هؤلاء وأولئك كتب مختلفة أُلِّفت في الثقافة العربية، ومدونات قام بها هؤلاء الراحلون من الأندلس والقادمون إليها، أثبتوا فيها مسموعاتهم في اللغة والنحو والقراءات وما إليها. وقد تضافرت هذه الجهود جميعا على تطوير الحياة الثقافية ولا سيما اللغة، وأدى اختلاط العرب بأهل البلاد عن طريق التزاوج إلى نشوء جيل جديد من أبناء هذه البلاد، احتاج إلى تعلم اللغة العربية، ونشأ عن هذه الحاجة ظهور طبقة من المثقفين باللغة العربية وعلوم الدين، سميت بطبقة المؤدبين، وساعد على ظهورها الرحلات التي كان يقوم بها الأندلسيون والمشارقة من الأندلس إلى مراكز الثقافة الإسلامية في الحجاز والعراق، أو من مراكز الثقافة في المشرق إلى أرض الأندلس، وكان لتشجيع الحكام والخلفاء على هذه الرحلات أثر كبير في ظهور هذه الطبقة[1].

وقد أخذت هذه الطبقة من المؤدبين على عاتقها مهمة تدريس اللغة العربية ونحوها وعلوم القرآن لأبنائها في مدن الأندلس، ولا سيما قرطبة عاصمة الدولة ومقر العرب من المحاربين والولاة، ولم يكن يقتصر علم هؤلاء على تأديب أولاد الخاصة بل قام المؤدبون في الأندلس بتعليم أبناء الخاصة والعامة، فمنهم من كان يؤدب أولاد الخاصة في القصور وبلاط الدولة، ومن هؤلاء المؤدبين "عثمان بن سعيد" المعروف بـ"وَرْش" قارئ مصر المشهور، استأدَبُه الأمير "الحكم بن هشام" لِبَنِيه، و " محمد بن محمد بن أرقم" الذي كان يؤدب أمير المؤمنين " عبد الرحمان الناصر"[2]، ومنهم من كان مؤدبا لأولاد العامة في المساجد، وكانت مهمة هؤلاء تعليم القرآن وقراءاته وعلومه، ثم تطور إلى الاهتمام بلغته وتلاوته، وأصبح اهتمام المتأخرين منهم بالدراسات اللغوية أكثر وضوحا من السابقين،

---

[1] ينظر: البير حبيب مُطْلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ص 47. وينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص307، 308.

[2] ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص207 و 282. وينظر: البير حبيب مُطْلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ص 48.

حيث بدأ عدد منهم يرحلون إلى مراكز الثقافة القرآنية واللغوية في الحجاز والبصرة والكوفة ودمشق، فيسمعون القرآن وقراءاته ويسجلون أصول هذه القراءات وما يحدث فيها من مدٍّ أو إدغام أو همز أو تليين أو تفخيم أو إمالة أو إعلال أو إبدال أو نحوها مع ما جدَّ من دراسات لغوية ونحوية متفرقة يحملونها معهم عائدين إلى الأندلس ويعلمونها تلاميذهم [1].

ومن أجل ذلك لا نعجب إذا وجدنا مشهوري هؤلاء المؤدِّبين يُعنَوْن بالتأليف في القراءات يتقدمهم "أبو موسى الهواري" وكان يعاصره " الغازي بن قيس" ( ت 199هـ) الذي رحل مثله إلى المشرق [2].

**أوائل النحاة:**

أول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي " جودي بن عثمان" ( ت 198 هـ)، الذي رحل إلى المشرق وتتلمذ "للكسائي" و "الفراء"، وهو أول من أدخل إلى موطنه (الأندلس) كتب الكوفيين، وكان يعاصره "أبو عبد الله محمد بن عبد الله" الذي رحل مثله إلى المشرق، وأخذ عن "عثمان بن سعيد المصري"، المعروف باسم " ورش" قراءته، وأدخلها إلى الأندلس، وكان بصيرا بالعربية[3].

واشتهر من تلاميذ "جودي"، "أبو حرش عبد الله بن رافع" مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و كان عالما باللغة والعربية، أخذها عن " جودي"، وضُرب به المثل في فصاحته[4].

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص308، 309.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص288.

[3] المرجع نفسه، ص289.

[4] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص310.

ويتكاثر القراء والمؤدبون في القرن الثالث الهجري، ويتميز من بينهم " عبد الملك بن حبيب السُّلمي" ( ت 238هـ)، و كان إماما في الفقه والحديث والنحو واللغة، ويُعْنى في نفس القرن "مفرج بن مالك النحوي" بوضع شرح على كتاب "الكسائي"، كما يُعنى معاصره "أبو بكر بن خاطب النحوي المكفوف" بوضع كتاب في النحو كانت له شهرة في موطنه[1].

ويتضح مما جاء في أخبار هؤلاء المؤدبين والنحاة الأندلسيين أنهم كانوا يعنون بالنحو الكوفي الذي كان أول من حمله إليهم إلى الأندلس " جودي بن عثمان" ... ... وتبدأ بعد هذا مرحلة جديدة ظهر فيها كتاب " سيبويه" في مجالس الدرس النحوي في الأندلس، وكان "محمد بن موسى بن هاشم" المشهور بـ" الأفُشْنيق" ( ت 307هـ) قد رحل إلى المشرق فلقي "أبا جعفر الدينوري" وانتسخ كتاب " سيبويه" من نسخته وأخذه "الدينوري" عن " المازني"... ... وقد ظهرت بعد " الأفشنيق" مجموعة من النحاة وجهوا اهتمامهم إلى كتاب " سيبويه" فدرسوه واهتموا بالنظر فيه، ومن أشهرهم "أبو وهب عبد الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف"، و "أحمد بن يوسف بن حجاج" ( ت 336هـ). وظلت العناية بكتاب "سيبويه" مستمرة، وبلغت العناية به أقصاها عند "أبي عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام الأزدي الرياحي" الذي رحل إلى المشرق فلقي "أبا جعفر النحاس" أكبر نحاة مصر في زمانه، ومن المهتمين بكتاب "سيبويه" الذي كان محور الدرس النحوي في مصر. فحمل " الرياحي" عنه هذا الكتاب ... وعاد إلى قرطبة. وتوفي "الرياحي" سنة (358هـ) بعد أن عرَّف الأندلسيين بنحو البصريين وبما بلغه من التعمق في مسائل النحو والتصريف والأصوات وغيرها من الدراسات، وبيّن لهم كيف ينظرون فيه، ويستفيدون منه، فخدم بذلك الكتاب ومؤلفه ومدرسته النحوية الأصلية، وأشاعه هو وتلاميذه من بعده في مجالس الدرس النحوي، بعد أن كان الدرس في الأندلس يسير على مناهج الدرس

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص289.

الكوفي... ... وخَلَفَ "الرياحي" في العناية بكتاب "سيبويه" في الأندلس خلق كثير تتابعوا على تثبيت أركانه بين الدارسين الأندلسيين كان من أشهرهم "أبو علي إسماعيل بن القالي البغدادي" (ت 356هـ)، دخل الأندلس سنة 330هـ حاملا كتاب "سيبويه" الذي قرأه على "ابن درستويه"، ... فكان عمله في نشر كتاب "سيبويه" ونحو البصريين في الأندلس مكملا لعمل " الرياحي" ... وقد أخذ عن " القالي" نفسه "أبو جعفر أحمد بن محمد بن درستويه". وظهر بعد " القالي" و "الرياحي" جيل من تلاميذهما انصرف إلى النحو البصري وانكبَّ على كتاب " سيبويه" وغيره من كتب البصريين والكوفيين، درسا وتدريسا كان من أبرزهم تلميذ "القالي"، " محمد بن عمر بن عبد العزيز" المعروف بـ"ابن القوطية" ( ت 367هـ)، و" محمد بن الحسن الزبيدي" ( ت 379هـ)، صاحب طبقات النحويين واللغويين، وأبو عبد الله محمد بن عاصم العاصمي" ( ت 382هـ)، تلميذ "الرياحي"، و"أحمد بن أبان " (ت 382هـ) [1].

ويبدو من هذا أن النحاة الأندلسيين مع انصراف معظمهم إلى النحو البصري وكتاب "سيبويه" درسا وتدريسا وشرحا وتعليقا لا يزال بينهم من يُعنى بالنحو الكوفي، ويهتم بكتب شيوخه، واستمر الحال على هذا في العناية بالنَّحْوين معا مع ميل إلى النحو البصري الذي تمثل عند "هارون بن موسى القرطبي" (ت 401هـ)، و "ابن الإقليلي" ( ت 441 هـ). وجاء بعدهما من قِيل فيه أنه لم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة، هو "الإمام ابن سيده الضرير" ( ت 448هـ) الذي اهتم في معجمه "المخصص" بمسائل النحو والصرف، وقد عُدّ "ابن سيده" بما خلطه في مؤلفاته من علم البصريين والكوفيين بداية اتجاه الأندلسيين إلى النحو البغدادي إلى جانب النحوين البصري والكوفي، وسار النحاة الذين جاءوا بعدهم على العناية بالمذاهب الثلاثة وأصبح النحو خليطا منها. وإن كان البغدادي في الأصل أيضا خليطا من النحوين البصري والكوفي مع آراء جديدة. ومع

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص311-313.

أن النحاة أخذوا يعنون بهذه المذاهب الثلاثة ويمزجون بينها فإن عناية النحويين الأندلسيين ظلت لا تتخطى كتاب "سيبويه"، وظل الأندلسيون يتوافرون على الكتاب حتى اشتهر أمره في البيئة الأندلسية واشتهر في العالم العربي أنه لا توجد بيئة عربية أخرى بلغت في العناية بالكتاب وتحرير نصه وكشف غوامضه ما بلغته بيئة الأندلس، مما دفع "بالزمخشري" ( ت 528هـ) إلى أن يرحل في شبيبته من خوارزم إلى مكة لقراءته على نحوي أندلسي كان مجاورا بها هو "عبد الله بن طلحة" ( ت 518هـ)، وفي هذه الفترة ظهر نحوي أندلسي اشتهر بدعوته إلى التجديد في النحو، ووقف في وجه النحو المشرقي رادا عليه منهجه في الدرس والأصول التي اتبعها فيه، ذلك النحوي الأندلسي هو "ابن مضاء القرطبي" [*] (ت 592هـ) [1]، الذي رد على العديد من مسائل النحو المشرقي، من بينها: إلغاء نظرية العامل، وإلغاء العلل الثواني والثوالث. وقد جاء بعد "ابن مضاء" نحاة كثيرون، من بين هؤلاء النحاة نحويٌّ كان بصري الاتجاه، يرى أن آراء البصريين أكثر صحة ومنهجهم أثبت أصولا وشواهدهم أنقى وأفصح. لكنه مع هذا لا يتعبَّدُ بإتباع آرائهم وأقوالهم إن رآها مجانبة للصواب أو رأى غيرها أسهل منها أو أوضح. وقد تأثر هذا النحوي بـ"ابن مضاء" ومنهجه الظاهري في النحو فحاول تطبيقه على أصول النحو، كما طبقه في الآيات والقراءات القرآنية، وكان يرى أن حملها على الظاهر هو الأصل، وذلك النحوي هو "أبو حيان الأندلسي"[2].

---

[*] له كتاب "الرد على النحاة".

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص313، 314.

[2] المرجع نفسه، ص321، 322.

## المحاضرة السابعة: المدرسة المصرية

**مصر:**

مصر بلد عريق في الحضارة، عرفت منذ فجر التاريخ بحضارات تميزت بكثير من العلوم والفنون، وقد مرت بعهود مختلفة وبمراحل ازدهار ونمو وبمراحل ظلام وفوضى وتتابعت فيها دول فرعونية لوبية وآشورية ثم رومانية ظلت تحكم البلاد حوالي ثلاثة قرون ونصف، حتى حررها المسلمون ما بين عامي 18 و 20 للهجرة في خلافة "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه–، وعلى يد القائد العربي "عمرو بن العاص" قاهر الرومان، حيث أصبحت مصر منذ هذا التاريخ جزءا من الدولة العربية الإسلامية، فوفدت عليها وفود وجلت إليها جاليات كثيرة من مختلف القبائل العربية. وتوالى على مصر أمراء من العرب يحكمونها من قبل الحلفاء الراشدين، ثم من قبل خلفاء بني أمية، ولم يجد العباسيون صعوبة في مد سلطانهم إليها بعد زوال الدولة الأموية، وتتابع عليها في أيامهم ولاة كان معظمهم من الترك الذين يفضلون الإقامة ببغداد، وينيبون عنهم من يقوم بأمرها حتى أدى هذا إلى ظلم أهلها وإغفال عمرانها وفساد الحاكمين فيها، فقامت فيها ثورات متعددة تضعف حينا وتشتد أحيانا، شارك فيها العرب والأَقْبَاطُ بدافع من المصلحة المشتركة، إلا أنه مع كل ذلك حرر العرب المسلمون مصر وشعبها من الفرعونية حتى نسيت، بعد أن أنشأها العهد الإسلامي إنشاء جديدا، إذ دخل المصريون على اختلاف جنسياتهم وأديانهم في دين الله أفواجا، ولاسيما في زمن "الوليد بن عبد الملك" الذي خفف الضرائب عن الشعب، واتخذ لهم العربية اللغة الرسمية وأحلها محل ما كان سائدًا فيها من لغات. ولاسيما ما كان في ضبط الدواوين، فساد الإسلام بسيادتها لأنها لغة هذا الدين الحنيف الذي يقوى بقوتها ويزدهر بازدهارها على ألسن الشعوب المحررة. وغلبت على المصريين بغلبة اللغة العربية على ألسنتهم مقومات عربية كثيرة ونمت عادات وتقاليد عربية إسلامية بعد أن نعموا بهذا الدين العظيم، مع أنهم ظلوا تابعين لغيرهم من البلدان

في التوجيه السياسي وما يتبعه من ظروف تحسن أو تسوء تبعا لذلك، حتى جاء "أحمد بن طولون" عام 154هـ نائبا عن واليها التركي " بقبق" أو " بكباك" فأخذ في تحسين أمور البلاد، ثم استقل بها سنة 269 هـ حيث حذف اسم الخليفة من خطبة الجمعة، ومنع إرسال الخراج إلى بغداد لينفق في تحسين أمور البلاد، وبنى مدينة" القطائع" والجامع المعروف باسمه " مسجد بن طولون"، وفي زمانه استقلت مصر سياسيا. غير أن خلفاءه لم يستطيعوا المحافظة على هذا الاستقلال ولاسيما ابنه "خمارويه" الذي انصرف إلى اللهو والملذات، وأنفق عليها ما في خزائن الدولة فعادت تابعة للدولة العباسية سنة 293هـ، بعد أن زوج "خمارويه" ابنته للخليفة المعتضد العباسي وبعد حكم ولديه "أبي العساكر" و"أبي موسى"، فكثرت فيها الاضطرابات حتى جاء "محمد بن طغج الإخشيد" الذي ولاه عليها الخليفة العباسي عام 324هـ، فاستطاع أن ينهض بالبلاد نهضة جديدة وأبدى مقدرة كبيرة في حكمها وصد الطامعين فيها والخارجين عليها وامتد حكمه إلى الشام، وحكم مكة والمدينة باسم الخليفة، واستمر "كافور الإخشيدي" المملوك الحبشي الذي عُيِّن وصيا على "أبي القاسم بن أحمد بن طولون" في حكم البلاد بكفاءة حتى مات وضعفت دولته من بعده، وسارع الفاطميون الذين كانوا قد نشروا دعوتهم في بلاد المغرب وأسسوا دولتهم إلى نشر هيمنتهم على مصر، وانتقلوا إليها واتخذوها دار إقامتهم وبنوا "القاهرة المعزية" و " الجامع الأزهر" وسموا أنفسهم بالخلفاء تشبُّهًا بالعباسيين الأوائل، ونظّموا دولتهم وأحاطوها بمختلف مظاهر الأبهة والسلطان، وأشاعوا المواليد الدينية والأعياد والمواسم متخذين منها فرصة للإحسان ولشغل الشعب المصري عنهم بها، وقربوا العلماء والأدباء والشعراء، وفي عهدهم وجدت العربية فيهم أكبر عون ونصير لها، فازدهرت بعلومها ورجالها ولم يهمل الفاطموين مع هذا تعمير البلاد فأحبهم المصريون مع مخالفتهم إياهم في مذهبهم الذي أخذوا يعملون على نشره في البلاد، مستخدمين اللين حينا والقوة والشدة أحيانا أخرى، فأصاب البلد القحط والجدب والغلاء إلا أنها مع ذلك

بقيت مستقلة عن غيرها، عزيزة الجانب حتى ضعف أمر الفاطميين ودالت دولتهم على يد القائد الشجاع "صلاح الدين الأيوبي"، الذي استطاع أن يجمع السلطة في يده فحكم مصر نائبا عن أمير الشام " نور الدين زنكي" فاستقل بها وأعلن نفسه سلطانا عليها، وبه ابتدأت الدولة الأيوبية في مصر والشام، انصرف صلاح الدين إلى سياسة البلاد بمهارة وقدرة وأصلح أمرها، وعمل على نشر المذهب الشافعي فيها وقوّى جيشه الذي استطاع به أن يخوض غمار الحروب الصليبية، وبها استرجع بيت المقدس وأرعب الصليبيين، وظل الأيوبيون حماة الدين الإسلامي ذائدين عن المسلمين ضد المتعصبين الراغبين في الاستحواذ على بلاد المسلمين. فاستقرت البلاد وانتشر الدين الإسلامي وعلومه، ولاسيما ما كان في عهد مؤسس دولتهم "صلاح الدين" القائد المحرر الذي كسر شوكة الغزاة في عهده، ووقعت بعده "معركة المنصورة" التي أذلتهم بعد أن أسر فيها المصريون ملك فرنسا "لويس التاسع"، الذي حاول مد نفوذه إليها، وسجنوه سنة 648 هـ. ولم يقتصر أثر الدولة الأيوبية على الناحية السياسية والاجتماعية وإنما امتد أثرهم إلى الناحية الثقافية، فقربوا العلماء، واهتموا ببناء المساجد لنشر الدين، ورتبوا الدروس في العلوم الدينية واللغة العربية وشجعوا علماءها. وظل الأمر كذلك حتى ضعف ملوكهم وتسلم الحكم عن آخر ملوكها "شجرة الدر" زوجة الملك "الصالح الأيوبي"، زوجها الثاني المملوكي "عز الدين بن أيبك" عام 648 هـ، وبه بدأ عهد المماليك في مصر، الذين حكموها حكما مضطربا، لكنه دام مع ذلك حوالي ثلاثة قرون، حيث تسلم مقاليد الحكم فيها الأتراك العثمانيون عام 933هـ، وبه بدأ عصر جديد[1].

لقد حرر العرب المسلمون مصر من سيطرة الحكم الروماني وكانت الثقافة اليونانية والرومانية منتشرة فيها، وكثر العرب النازحون إلى مصر في أول عهد الدولة الإسلامية،...، أصبحت مصر مركزا علميا منذ نشر الإسلام ظلاله على ربوعها، وبدأت

---

[1] – خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 258– 260.

الحركة العلمية كما بدأت في أقطار العالم الإسلامي الأخرى بالعلوم الدينية التي سادت غيرها مما كان منتشرا في هذه البلدان من ثقافات يونانية أو رومانية أو فارسية، هذه الثقافات التي أذهلها هذا الانتشار السريع لهذا الدين العظيم فتراجعت وانكمشت ولم تستعد نشاطها إلا بعد أن عدلت عن تعاليمها وغيرتها بما يتفق وتعاليم الإسلام الحنيف. لقد كان الصحابة مؤسسي مدرسة مصر الدينية وأولهم "عبد الله بن عمرو بن العاص" الذي نزل مصر مع الحملة الإسلامية التي قادها أبوه، ولما توفي أبوه أقره "معاوية" على حكم مصر ثم عزله، اشتهر عبد الله بأنه أكثر الناس حديثا عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– .... واشتهر في مصر غيره من علماء الدين منهم: "يزيد بن أبي حبيب" من التابعين، وتلميذاه "عبد الله بن لهيعة"، و"الليث بن سعد"[1].

لقد أصبح لمصر منذ بداية العهد الإسلامي دور كبير في نشر العلوم، ولاسيما الإسلامية منها حتى أصبحت جامعة إسلامية بما توافد عليها من العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية، وفي مختلف فروع العلم، وكان للصحابة فضل الريادة في نشر العلوم الإسلامية وتنميتها، وكان من بينهم علماء اشتهروا بقراءاتهم في بلدانهم وآخرون اشتهروا بعلوم إسلامية غير القراءات، وشارك في الدراسات القرآنية في مصر ثلاثة من أشهر الصحابة هم "عبد الله بن عمرو بن العاص" (65 هـ) الذي كان مقرئًا مشهورا إلى جانب كونه مُحدِّثا، و"عبد الله بن عمر بن الخطاب" (73 هـ) الذي اشتهر من تلاميذه "نافع بن أبي نعيم العدوي" (117 هـ) مقرئ المدينة وأحد القراء السبعة، و"عبد الله بن عباس" (68 هـ) الذي اشتهر بالتفسير الذي طغى على شهرته بالقراءة. وكان لكل من هؤلاء الصحابة مصحفه الخاص وقراءته بحروفه الخاصة، لهذا لم يستطيعوا أن يكوّنوا مدرسة موحدة لاختلاف مصاحفهم، وإنما نشأت أول مدرسة مصرية لإقراء القرآن على يد قارئ مصري ذاع صيته في داخل مصر وخارجها هو "عثمان بن سعيد" الملقب بـ " وَرْش"

[1] – خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 260.

(110- 197 هـ) الذي أخذ القراءة عن "نافع بن أبي نعيم" مقرئ المدينة (167هـ) الذي لجأ إليه "ورش" ليتعلم منه القرآن بقراءته التي اشتهر بها وأصبح بها إمام المدرسة المصرية في القراءات[1].

**مدرسة القراء النحوية:**

كانت قراءة "وَرْش" وما تميزت بها من اعتماد الأصول اللغوية والنحوية في ميدان القراءات و الدراسات اللغوية التي قامت عليها تمثل الأصالة المصرية في هذه الحقبة المبكرة من تاريخ نشأة العلم العربية في مصر أكثر مما تمثلها الدراسات اللغوية والنحوية الوافدة إلى مصر من المشرق في حدود القرن الثالث للهجرة، لأن هذه تمثل النحو في بيئاته الأصلية البصرة والكوفة وبغداد، ولا تمثل البيئة المصرية التي كانت لها دراساتها اللغوية والنحوية المستنبطة من قراءات "وَرْش"، وكان لكل من هذين النوعين من الدراسات في مصر خصائص مستقلة ظلت ظاهرة حتى امتزجت على يدي "أبي جعفر النحاس" (338هـ) [2].

اتضحت معالم المدرسة المصرية الأصلية في النحو، واشتهر أعلامها من القراء الكبار الذين ظهرت لهم مجموعة من الدراسات اللغوية والنحوية المتصلة بالقراءات، وهي دراسات ضخمة إذا ما قيست بالدراسات اللغوية والنحوية التي ظهرت بمصر لدى النحاة الوافدين إليها بعلم النحو من الأقطار الأخرى في الحقبة نفسها، من أشهرها: "كتاب الاستكمال في التفخيم والإمالة" وقد سمّاه "ابن خير": " إكمال الفائدة" و "استكمال الفائدة"، "لأبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون" (389 هـ)، ألفه لطلاب القراءات الذين

---

[1] – خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 261.

[2] – المرجع نفسه، ص 262.

رآهم يضطربون في معرفة التفخيم والإمالة، فيفخمون ما هو ممال، ويميلون ما هو مفخم لعدم وجود أصل ثابت يرجعون إليه[1].

ويُعد كتاب "الاستكمال" دراسة تميل إلى النضج، يعتمد عليه القراء في ظواهر التصريف والنحو وغيرها، واتضح فيها وضع الأقيسة و الضوابط العامة التي تطرد في أمثالها، واتبع فيها طريقة البصريين في البحث فيما يبدو ونهجَ فيها منهجهم[2].

و "التذكرة في القراءات الثماني" وسمي بـ " التذكرة في القراءات"، تناول فيه مؤلفه قراءات القراء السبعة المعروفين عند "ابن مجاهد"، والثامن "يعقوب بن إسحاق الخضرمي" ومؤلفه هو "أبو الحسن ظاهر بن عبد المنعم بن غلبون" المقرئ المتوفي سنة 399 هـ، وهو ابن مؤلف "الاستكمال " المتقدم، وقد شارك أباه في القراءة على "عَدِي بن عبد العزيز بن الإمام" (381 هـ) مقرئ مدرسة "وَرْش" بمصر[3].

**مدرسة مصر النحوية:**

كان للقراء، ولاسيما "وَرْش المصري" وتلاميذ مدرسته في الإقراء، الأثر الأكبر في ظهور مدرسة القراء النحوية التي قامت بدراسات لغوية نحوية تُبين ما جاء في قراءات "وَرْش" أو في قراءات القراء السبعة وغيرهم من ظواهر نحوية وصرفية، وعرضها وشرحها ووضع قواعد وأصول عامة يتّبعها من لا يعرف ذلك من الطلبة، الذين يقرأون بهذه القراءات، وكونت بحوثهم ودراساتهم نواة مدرسة مصر النحوية الأصيلة التي اتجهت نحو القراءات وما فيها من ظواهر خاصة بها، وظهرت في مقابل هذه مدرسة نحوية أخرى تهتم بالبحوث النحوية التي ظهرت في مراكز الثقافة في العراق كالبصرة والكوفة وبغداد،

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 263، 264.

[2] المرجع نفسه، ص 264.

[3] المرجع نفسه، ص 264، 265.

وقد نقلت نتائج هذه البحوث والدراسات إلى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي عن طريق العلماء الذين درسوا فيها ورحلوا إلى مصر كما فعل "عبد الرحمان بن هرمز" (117هـ)، الذي أخذ النحو عن "أبي الأسود الدؤلي"[1] ورحل إلى المدينة [2]. حيث قام بتدريس القراءات والعربية فيها، ومنها رحل إلى مصر حيث توفي بالإسكندرية، فلا بد من أن يكون قد علم القراءات والعربية فيها، وأذاع نقط الإعراب الذي وضعه "أبو الأسود، ونقط الإعجام الذي وضعه "نصر بن عاصم الليثي" تلميذا "أبي الأسود" أيضا، وكان "عبد الرحمان بن هرمز" قد أخذ القراءة عن "ابن عباس" وعن "أبي هريرة" وأخذ عنه "نافع بن أبي نعيم" مقرئ أهل المدينة شيخ وَرْش القارئ المصري الذي رحل إلى المدينة[3].

**أوائل النحاة المصريين:**

نشأ في مصر نحاة كثيرون اهتموا بتدريس النحو المشرقي، ولاسيما البصري منه، ورحل إليها من العراق والمغرب والأندلس والشام نحاة آخرون أخذوا العلم بالنحو من بلدانهم ونشروه ودرّسوه في مصر أم دخلوا مصر ليحضروا حلقات شيوخه أو مجالس درسهم فيها، وقد حظيت مصر بعدد من النحاة لم يحظ بلد عربي بمثله، لا في القديم ولا في الحديث، وظل النحو يُدرس وتُؤلف فيه المتون والشروح والتعليقات والحواشي والمختصرات وفي شواهده وشروحها وإعرابها، حتى أننا لن نكون مبالغين إذا ما قلنا إن ما ألّف فيه من هذه الكتب في مصر وحدها منذ نشأته حتى يومنا هذا ما يزيد على ما أُلِّف في جميع البلدان العربية الأخرى في المدة نفسها، ولهذا فإننا سنكتفي بالتعريف بأوائل النحاة المصريين الذين دخل على أيديهم النحو العربي إلى مصر ونما وانتشر

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 268.

[2] ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 26.

[3] ينظر: خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 268، 269، وينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 327.

واكتمل نضجه بالجهود التي بذلوها والدراسات التي اعتنوا بتأليفها. ومن أوائل النحاة الذين اتفق عليه المترجمون وتواترت أخبار رحلاته لسماع النحو وأخذه عن شيوخه نذكر:

**1- ولاد المصادري التميمي:**

وهو الوليد بن محمد التميمي المصادري المشهور بـ " ابن ولاد المصري"، بصري نشأ في مصر ورحل إلى العراق، وسمع بها على العلماء. وكان سبب رحلته إليها رغبته في تعلم النحو الذي ذاعت أخباره وانتشرت وسمع بها القاصي والداني، ولم يكن قد عرف في مصر بعد، لأنه لم يكن في مصر كبير شيء من كتب اللغة والنحو[1].

ويعدُّ " ولاد المصادري التميمي" «أول نحوي حمل بمصر راية النحو بمعناه الدقيق؛ إذ رحل إلى العراق، فلقي الخليل بن أحمد، وأخذ عنه، ولازمه وسمع منه الكثير، وعاد الر مصر، ومعه كتبه التي استفادها في العربية من إملاءات الخليل، وأخذ يحاضر فيها الطلاب»[2].

**2- أبو الحسن الأعز:**

ذكره "الزبيدي" في الطبقة الأولى، واهتم بإيضاح أنه أخذ عن "علي بن حمزة الكسائي"، ولقيه قوم من أهل الأندلس وحملوا عنه وكان ذلك سنة 227هـ[3].

**3- أبو علي الدينوري:**

أحمد بن جعفر أبو علي، أصله من دينور، قدم البصرة وأخذ عن المازني وحمل معه كتاب سيبويه، ثم دخل بغداد فقرأ على "أبي العباس المبرد"، وهو ختن أبي العباس

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 273.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 327، 328.

[3] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 213.

أحمد بن يحي ثعلب، وكان يخرج من منزل ختنه "أبي العباس ثعلب" فيتخطى أصحابه ويمضي ومعه محبرته ودفتره يقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فكان أبو العباس ثعلب يعاتبه ويقول له: إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل وتقرأ عليه يقولون ماذا؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله. كان أبو علي حسن المعرفة بالنحو ويبدو أنه لم يجد له مكانا في بغداد وفيها الشيخان: "ثعلب" و"المبرد"، فاتجه غربا قاصدا مصر حيث استقر بها ولهذا سماه "القفطي": "نزيل مصر النحوي"[1]. كان متعصبا للمذهب البصري في النحو، لأنه لم يقرأ فيما تذكر كتب التراجم إلا كتاب سيبويه في البصرة وفي بغداد، وإن كان فيما يبدو قد قرأ كتب "الفراء" و"الكسائي" التي كانت عند ثعلب، وإن لم يقرأها عليه وذلك طبيعي وهو ختنه ويعيش معه في دار واحدة، فلما رآها لا تعد شيئا إذا ما قورنت بـ"الكتاب" والنحو الذي يحويه،... ولابد من أن يكون أبو علي قد حمل "الكتاب" معه إلى مصر وهو عازم على الاستقرار فيها والجلوس لتدريس النحو البصري هناك وليس له من عدة أو عمدة غير "الكتاب"[2]. وهناك ألف "المهذب" الذي جلب في صدره اختلاف البصريين والكوفيين، وعزا كل مسألة إلى صاحبها ولم يعتل لواحد منهم، وعول في ذلك على كتاب "الأخفش سعيد". وألف كذلك كتابا مختصرا في ضمائر القرآن استخرجه من كتاب المعاني للفراء[3]. ومما يؤكد انصرافه عن الكوفيين ما روي من أنه كان قد رحل إلى مصر ليقيم فيها، ولما قدم "علي بن سليمان الأخفش الصغير" مصر خرج أبو علي منها، ثم عاد إليها بعد عودة "الأخفش" إلى بغداد[4]. توفي "أبو علي" سنة 289هـ. ومن هذا يبدو أن "الدينوري" وهو من أوائل من دخل مصر من النحاة المشارقة قد أثار نشاطا كبيرًا

---

[1] ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 215.

[2] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 274، 275.

[3] ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 215.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص 215.

في مجالس الدرس النحوي في مصر بما حمله وما ألفه في النحو وفي القراءات مما يكون للنحو فيه النصيب الأكبر في صحة القراءة وتوجيهها وذلك بتأليفه "وقف التمام"[1].

**4- أبو الحسين محمد بن الوليد بن ولاد التميمي المتوفى سنة 298هـ:**

أخذ عن "أبي علي الدينوري" وعن "محمود بن حسان" وغيرهما بمصر، ثم رحل إلى العراق وأقام بها ثمانية أعوام ولقي فيها "المبرد" و"ثعلبا" وله في النحو كتاب سماه "المنمق". وقرأ كتاب سيبويه على المبرد[2]. فكان أبو الحسين هذا أول من أدخل كتاب "سيبويه" إلى مصر، وهو الذي استنسخه من نسخة "المبرد"، وجلس في مصر لإقرائه على تلاميذه بعد أن درسه على المبرد في رحلته إلى بغداد... ... وله كتاب اسمه "المقصور والممدود"[3].

**5- عِلاَّن:**

علي بن الحسن المتوفى بمصر سنة 337هـ. قال فيه "الزبيدي" «كان علان من ذوي النظر والإدقاق في المعاني، وكان قليل الحفظ لأصول النحو، فإذا حفظ الأصل تكلم عليه بكلام حسن، وجوَّد في التعليل ودقَّق القول ما شاء» [4].

ومن أشهر أعلام المدرسة المصرية، الذي مثَّل النحو المصري وما وصل إليه في زمانه من الاستقرار والنضج "أبو جعفر النحاس".

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 275.

[2] الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 217.

[3] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 276.

[4] ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص 222.

**حياتـــه:**

هو "أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي أبو جعفر النحاس النحوي المصري"، عرف بـ "النحاس" تمييزا له عن "البهاء بن النحاس"، ومع هذا سماه بعضهم "ابن النحاس". تنقل في سبيل العلم إلى عدد من الأمصار الإسلامية التي كانت مراكز للعلم في زمانه، فرحل إلى العراق من مصر وأخذ فيها عن أبي إسحاق الزجاج النحو وأكثر منه، وسمع من جماعة ممن كانوا بالعراق في ذلك الوقت "كأبي بكر بن الأنباري"، و"نفطويه"، و"علي بن سليمان الأخفش الأصغر" ببغداد. وسمع بالأنبار وبالكوفة وبالرملة، وسمع عن "ابن كيسان"، وسمع بمصر عن "محمد بن الوليد بن ولاد". عاد إلى بلده مصر حيث استقر فيها يفيد ويصنف إلى أن مات سنة 338هـ. كان عالما واسع العلم غزير الرواية كثير التأليف، وإذا خلا بقلمه جوّد وأحسن، وكان فيه طبع العالم المتواضع الذي لا يتحرج من أن يسأل الفقهاء والعلماء في كل ما أشكل عليه من أمور العلم، ولا يأنف من حضور حلقات غيره من العلماء للسماع عنهم، فقد كان يحضر حلقة ابن الحداد الشافعي ليلة كل جمعة يسمع فيها مسائل الفقه على طرائق النحو ولا يدع حضور شيء منها. لم يقتصر علمه على النحو وإنما كان عالما بالقراءات وأصولها ومواقع القطع والائتناف فيها، وقد صنف كتابا كبيرا يحمل اسم "القطع والائتناف" وألف كتاب "معاني القرآن"، و "تفسير أسماء الله عز وجل"، و"ناسخ القرآن ومنسوخه"، وإن دلت هذه الكتب على ظاهرة معينة فإنما تدل على تأثره بالدراسات التي ألفها في زمانه علماء مدرسةَ ورْش للإقراء التي اهتمت بالدراسات النحوية القرآنية، وتعد كتبه هذه أجمع ما ألّف في نحو تلك المدرسة وقراءاتها، وتدل كتبه الخالصة للنحو على تأثره بالنحو الشرقي الوافد الذي أخذه عمن لقيهم من النحويين في البلدان التي ذكرنا أنه زارها، وزاد عليه ما أخذه بمصر عن شيوخها وما وسَّعه هو نفسه بدراساته وتتبعه ومناقشاته لتلاميذه. وعلى هذا فقد كان النحاس قمة النحو في مصر تمثلت فيه مدرستاها النحويتان: مدرسة القراء

ومدرسة النحاة، وبلغ نحوهما عنده أسمى مراحل النضج والاكتمال، بحيث لم يزد من جاء بعده عليه في النحوين شيئا ذا قيمة. أما مؤلفاته النحوية فأشهرها كتاب "المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين"، و" الكافي في أصول النحو"، وله كتاب "صناعة الكتَّاب" و"الاشتقاق" و "شرح أبيات سيبويه"... وقد ظهرت ثقافته الواسعة في هذه المؤلفات التي اهتم بها الناس وحفظها لنا الزمن ووصل إلينا الكثير منها لتشهد على علمه وذكائه وقدرته على الإلمام بمثل هذه الموضوعات التي ألف فيها ولا سيما دراساته النحوية والقرآنية الجامعة، وكأن معاصريه وتلاميذه قد أدركوا مكانته وأحسوا بما يتميز به من علم وذكاء وسعة اطلاع وقدرة على الإفادة والإفهام، فتزاحموا على حلقته يناقشون ويستفهمون منه ويدونون عنه [1].

**نحـــوه:**

سبق "ابن النحاس" بثلاث مدارس نحوية –إن صحّ أن نطلق هذا التعبير– هي: مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد، وبرجوعنا إلى النحو الذي تلقاه عن أساتذته نجد أنه في أغلبه نحو البصريين، فقد أخذ عن أصحاب "المبرد": "الزجاج"، و"ابن كيسان"، و"علي بن سليمان الأخفش الصغير"، وجميعهم من نحاة بغداد الذين أخذوا النحو عن "أحمد بن يحي ثعلب" ثم أخذوه عن "المبرد" فخلطوا في علمهم نحو المدرستين، إلا أن الزجاج أطرح كتب الكوفيين ونحوهم وانحاز إلى المبرد والنحو البصري الذي يحمله، فكان نحوه بصريا خالصا. أما "ابن كيسان" فقد كان ممن خلط المذهبين ورجحت عنده كفة النحو البصري بشهادة "أبي سعيد السيرافي" و"أبي بكر بن الأنباري" وبدلالة ترجمة "الزبيدي" له مع البصريين في أصحاب "المبرد ". وأما "علي بن سليمان الأخفش" فهو ممن خلطوا النحويين أيضا وعده "الزبيدي" من أصحاب "المبرد". وعلى هذا

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 279، 280.

فمن الواضح أنه اطلع عن طريق هؤلاء على النحو البصري والكوفي والبغدادي المتمثل بمصنفات هؤلاء الشيوخ وآرائهم، وإن كان الجانب البصري أرجح كفة لأخذه عن "ابن ولاد" وغيره ممن كان بمصر، حيث كان النحو البصري هو الشائع والمعروف في مجالس الدرس النحوي فيها. أما النحو البغدادي فهو مزيج من آراء شيوخ المدرستين البصرية والكوفية [1].

أما مسائل النحو والصرف وروايات الشعر فيتضح فيها اهتمامه بآراء سيبويه وأقواله... ... فلسيبويه عن النحاس الرأي الأول والأخير فيما يذهب إليه أو يوجه به المسائل النحوية أو الصرفية، فهو ينص على رواياته للشعر الواردة في كتابه مما يخالف المثبت في غيره من الدواوين ومجموعات المعلقات [2].

وأما في القراءات وتوجيهها وموقفه منها فيتضح أنه كان يتابع من سبقوه من نحاة المدرستين الذين خطَّأوا القراء في بعض قراءاتهم، ونسب التخطئة في معظمها إلى البصريين، غير أن "الكسائي" والفراء شاركا في هذه التخطئة، فهي ظاهرة عامة وإن كنت قد وجدت التصريح بالتخطئة للقراء والطعن عليهم عندهما أوضح مما كانت عند "سيبويه" وشيوخه [3].

**المصطلح عنده:**

وكان يستخدم المصطلح البصري في معظم كتبه، وهو الشائع والمعروف. وقد يستخدم المصطلح الكوفي أو يخلط بينهما، ومن ذلك أنه يستخدم "الجر" و "الخفض" في

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 280، 281.

[2] المرجع نفسه، ص 281، 282.

[3] المرجع نفسه، ص 282.

المسألة نفسها، ومثله استخدامه مصطلحي البصريين والكوفيين "المضارع" و"المستقبل" في الموضع الواحد [1].

وقد يستخدم مصطلح المدرستين في الموضوع الواحد ولكن في أبواب متفرقة، كما في استخدامه "الصفة والموصوف" وهو مصطلح بصري و"النعت والمنعوت" وهو كوفي، واستخدامه "العماد" وهو مصطلح كوفي في مقابله "الفصل" البصري كل منهما في مكان، واستخدم مصطلحات جمع فيها بين مصطلحي المدرستين وركبها منها، من ذلك أن البصريين يستخدمون مصطلح: "حروف الجر" وأن الكوفيين يستخدمون لها مصطلح "الصفة" أو "حروف الصفات" ويسمون المجرور "مخفوضا" والجر "الخفض" لكنهم لا يقولون "حروف الخفض"، إلا أن ابن النحاس استخدم هذا المصطلح "حروف الخفض" وأطلقه على ما يشمل "حروف الجر" و"الظروف" وغيرها، وكأنه ترجم به مصطلح "الصفة" عند الكوفيين، فهو يطلق عندهم ويراد به "الظرف" و "حروف الجر"[2].

والخلاصة أن "أبا جعفر النحاس" قد أخذ بآراء البصريين، وأخذ مع هذا بأقوال الكوفيين، وخلط بين قوليهما أو مصطلحيهما، وكون لنفسه منهما قولا جديدا أو مصطلحا خاصا. وبدت لنا شدة اهتمامه بأقوال شيخ البصريين وآرائه وتفسيره لمسائل النحو والتصريف، ورواياته للأشعار، مما يدل على أنه يمثل النحو المصري في ميله إلى البصريين وتعصبه لسيبويه وكتابه بوجه خاص، لأنه هو الكتاب الذي درسوه ونشأوا عليه وأصبحوا أساتذة وأئمة في بلدهم وهم يشتغلون بآرائه وشرحها، وبالتأليف على كتابه والانتصار له، وتبين في مؤلفاته واهتمامه بالتأليف في الدراسات القرآنية ميله إلى الأصل الذي قام عليه الدرس النحوي في مدرسة ورش المصرية المنشأ والبحوث والشهرة. وقد

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 283.

[2] المرجع نفسه، ص 284.

مزج "أبو جعفر النحاس" كل هذا وأخرج لنا دراسات قرآنية تتضح فيها آراؤه وآراء سابقيه ومعاصريه في مسائل الوقف والابتداء، وفي مسائل النحو والتصريف وما يتصل منها بعلم الأصوات أو المسائل اللغوية العامة [1].

وظهر بعد "أبي جعفر النحاس" المتوفى (338هـ) عدد كبير من النحاة منهم المصريون أصلا ومولدا ونشأة وثقافة، ومنهم من نزلوا مصر وأقاموا فيها، وهم إما عراقيون وإما شاميون أو أندلسيون أو مغاربة، وقد خدموا النحو العربي بعامة خدمة كبيرة بما ألفوا وبما أضافوا من آراء وتعليقات وتوضيحات حفظتها لنا كتبهم. وقد اشتهر منهم من اشتهر، فعلا ذكره، وسطع نجمه في عالم الدرس النحوي، ومنهم من كان كليل الضوء خامل الذكر، إلا أنه قد نبغ من بينهم نحوي مصري الأصل والمولد والنشأة اشتهرت مؤلفاته وذاع صيته، ذلك هو "**السيوطي**"[2].

**حيــاته:**

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيري الأسيوطي. كان جده الأعلى همام الدين من أهل الحقيقة ومشايخ الطرق، خدم العلم حق الخدمة من بين معاصريه، لحقته التسمية بـ "الخضيري" نسبة إلى محلة ببغداد اسمها "الخضيرية"[3].

ولد سنة 849هـ، ونشأ يتيما فحفظ القرآن وهو دون الثامنة من العمر، ثم حفظ من كتب الفقه "العمدة" و "منهاج الفقه والأصول" ومن النحوية "ألفية بن مالك". وشرع في

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 289، 290.

[2] المرجع نفسه، ص 290.

[3] المرجع نفسه، ص 290.

الاشتغال بالعلم ولم يجاوز الرابعة عشرة، فأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأجيز بتدريس اللغة العربية ولم يجاوز السابعة عشرة، وفيها بدأ التأليف وكان أول ما ألفه "شرح الاستعاذة والبسملة"، وعرضها على شيخه علم الدين البلقيني (ت 878هـ) فكتب له عليه تقريضا. ولازمه في الفقه وسمع عليه قسما من "الحاوي" و "المنهاج" و"التنبيه". وقد أجازه هذا الشيخ بعدما سمعه عنه من هذه العلوم بالتدريس والإفتاء منذ أن كان في السادسة والعشرين. وكان هذا الشيخ أجل شيوخه وأكثرهم تعلقا به. أما في الحديث والعربية فقد لزم العلامة الإمام "تقي الدين الشبلي الحنفي"، وواظب على هذا الشيخ أربع سنين كتب له بعدها تقريضا على شرح ألفية ابن مالك وعلى "جمع الجوامع في العربية" من تأليفه... ولزم الشيخ "محيي الدين الكافيجي" أربع عشرة سنة، فأخذ عنه التفسير والأصول والعربية والمعاني وغيرها، وكتب له إجازة عظيمة، وحضر عند الشيخ دروسا كثيرة في الكشاف والتوضيح وحاشيته عليه وتلخيص المفتاح والعضد[1].

شرع في التصنيف منذ أن كان في السادسة عشرة، أي منذ سنة ست وستين وثمانمائة، وبلغت مصنفاته حتى كتابته ترجمة حياته ثلاثمائة كتاب... ... رحل السيوطي عن هذا العالم تاركا مئات الكتب والمدونات وكانت وفاته سنة 911هـ ، ومن أشهر كتبه اللغوية والنحوية "الاقتراح في علم أصول النحو" و "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" و "جمع الجوامع" وشرحه "همع الهوامع في جمع الجوامع" و "البهجة المرضية في شرح الألفية" و "الفريدة" وهي منظومة في النحو والصرف والخط، على غرار ألفية ابن مالك وابن معط، ألفها سنة 885هـ وكانت سِنُّه ستا وثلاثين سنة، وقام بعد عشر سنوات بشرحها في "المطالع السعيدة في شرح الفريدة" و" الأشباه والنظائر النحوية"[2].

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص 290،291.

[2] المرجع نفسه، ص 291. وينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 363.

**نحـوه:**

يقوم منهج السيوطي في دراسة النحو و اتباع أصوله في مؤلفاته على عرض آراء النحاة السابقين على اختلاف القائلين بها أشخاصا كانوا أم جماعات، يعرضها ويوازن بينها ثم يرد ما رآه غير صحيح أو ضعيفا و يصححه ويعلل سبب ضعف ما كان ضعيفا عنده، ويختار له من بين هذه الآراء رأيا غير متقيد بمذهب معين ولا بشخص يتحيز إليه، فلا هو متعصب للبصريين ولا للكوفيين ولا هو متابع لبغدادي معين أو لشيخ من الشيوخ، وسواء لديه أكان صاحب الرأي "بسيبويه" أم "الكسائي" أم "النحاس" أم "ابن كيسان"، إن رأى آراءهم صحيحة قوية اتبعها وفضلها وتبناها وإن رآها ضعيفة أو مجانبة للصواب عرضها وبين وجه الضعف فيها، أو عرضها ورجح غيرها عليها أو لم يرجح، ولهذا فهو يمثل النحوي المستقل الذي كان حكمه في الصحة والخطأ والقوة والضعف ما يوصله إليه علمه بهذا الموضوع أو ذاك، لا ما يراه من قيمة هذا النحوي أو ذاك، ولهذا فإننا نستطيع أن نطمئن إلى أن كل ما يقف منه موقفا إيجابيا من آراء النحاة السابقين ويعلق عليه باستحسان أو تصحيح أو تفضيل فهو معدود في آرائه[1].

ولهذا نجده قد وقف من الآراء التي عرضها في كتبه مواقف مختلفة، فقد يعرض الآراء عرضا مفصلا ذاكرا أصحاب هذه الآراء والقائلين بها من غير أن يعلق عليها بموافقة أو ردّ... ... وقد يعرض المسألة مبينا كلامه فيها على ما هو رأيه ويشير إلى غيرها... ... وقد يعلل بعض ما يورده من آراء أو مسائل ويفاضل بينها ويأتي برأيه مبنيا على كثرة الوارد في كلام العرب، وهذه الكثرة ترجحه على ما كان قليلا فيه... ... وقد يعرض الأوجه الواردة في المسألة ويرجح منها وجها ويعلل هذا الترجيح... ... وقد يعرض الخلاف بين المذهبين البصري والكوفي ويختار الكوفي ويصرح بأنه المختار عنده

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص292. وينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 365.

بعد أن يفند حجج البصريين، ثم يأتي بأدلة لما اختاره... ... وقد يبين أن في المسألة آراءً كثيرة ثم يختار أحدها ويُعلله كما في إعراب الأسماء الستة ... ... وقد يذكر أوجها في المسألة إلا أنه يبين أن أحدها قد سار واشتهر وجرى عليه المعربون[1].

أما أصول منهج "السيوطي" في مباحثه النحوية بعد هذا فتتضح في أمور منها:

1-**الحد والتقسيم والشرح:** اهتم السيوطي بالحد اهتماما واضحا في جميع كتبه النحوية، فهو يبدأ الكلام على أي موضوع نحوي بحده ثم يبدأ بالتقسيم ثم الشرح والاستشهاد، والاستنتاج، ويتبع هذا في أغلب الموضوعات.

2- **التعليل:** اهتم السيوطي بالتعليل واستخدمه بأوضح صوره وأسهلها وأقربها إلى الذهن... ... ولعل أوضح تعليل عنده ما جاء في إعراب الأسماء الستة وذهابه إلى ضعف ما قال به بعض الكوفيين ومن تابعهم من كونها مُعربة بالحروف.

3-**العامل:** بنى السيوطي معظم أبواب النحو في كتبه على نظرية العامل، بحيث يرد ذكره في كل مسألة إلا ما شذّ، منها تعليل قولهم " المبتدأ أصل المرفوعات".

4-**المصطلح:** يستخدم السيوطي غالبا مصطلحات البصريين، وقد استخدم في مواضع المصطلحات الكوفية، مثال ذلك استخدمه " الخفض" و " النعت" و " النسق".

5-**الخلاف بين البصريين والكوفيين:** اهتم بعرض المسائل التي جرى فيها خلاف بين البصريين والكوفيين مع الاستدلال لها بأدلة كل منهما، ... ...

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص292-296.

ومن أشهر المسائل التي عرض الخلاف فيها رافع المبتدأ والخبر، وعلامة إعراب الأسماء الستة وبناء الأمر وإعرابه.

6-**القراءات:** كانت آيات الكتاب العزيز وقراءاتها المرجع الأول "للسيوطي" في شواهده في كتبه النحوية، وعليها بنيت كتبه التي في الدراسات القرآنية، فاحتج بها في توضيحه الحكم النحوي الوارد في كلمة أو عبارة بقياسها على مثيلاتها في القرآن أو في قراءة ... ... أما موقفه من القراءات التي خطأها النحاة بصريين كانوا أم كوفيين من متقدميهم أم من متأخريهم، فيختلف عن موقفهم، فقد تابع "ابن مالك" و"أبا حيان" في الأخذ بهذه القراءات.

7-**الحديث النبوي:** لقد ورد الحديث كثيرا في كتبه سواء في ذلك ما احتج به هو أو ما احتج به النحاة الذين يعرض آراءهم واحتجاجهم به.

8-**المسموع من كلام العرب:** وقف "السيوطي" في الاحتجاج بكلام العرب عندما كان النحاة الأوائل "كسيبويه" وشيوخه يحتجون به، وهو يردد مثل: " فيحتج منه بما ثبت عن الفصحاء الموثوق بعربيتهم"، " وهؤلاء الفصحاء هم الذين ذكرهم أبو نصر الفارابي في أول كتابه " الحروف" وهم: قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخذ ومعظمه، وعليهم اتُكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين"، ثم " الاعتماد على ما رواه الثقات عنهم بالأسانيد المعتبرة من نثرهم ونظمهم"، ورأى أن اللغات الفصيحة كافة الحجاز وتميم كلها حجة، ولكل منها وجه من القياس.

9-**القياس والسماع:** كان يرى أن النحو كله قياس، وإنما يقاس على الكثير المطرد ولا يقاس على الشاذ، وليس من شرط المَقِيس عليه أن يكون كثيرا وإنما شرطه موافقته القياس، فقد يكون الشيء قليلا لكنه كل ما ورد في بابه فيقاس عليه، وقد يكون كثيرا لكنه خالف بابه فلا يقاس عليه. ونختم كلامنا

على الدرس النحوي في مصر بأشهر أعلامها "السيوطي" الذي تبين مما ذكرناه من أخباره الموجزة أنه قد شارك في كثير من العلوم مشاركة عالم متعمق، وأنه أسدى للنحو خدمة كبيرة في جمع أصوله وفروعه وترتيب أحكامه وأقيسته وتبيين علله، ولهذا ظل الاعتماد على كتبه في معظم المسائل التي عرضناها[1].

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص296-305.

## المحاضرة الثامنة: النحو في بيئات أخرى

### الحجاز:

جاء الإسلام فكان لمدينتي الحجاز العظيمتين " مكة" و " المدينة" شأن علمي كبير، وكان العلم فيهما دينيا صرفا. ففي مكة كان التشريع السماوي الذي لم يكن ليُفهم فهما صحيحا ما لم يفهم ما كان يحيط به من ظروف. أما المدينة فهي مهاجر النبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، وبها كان أكثر التشريع الإسلامي، فكانت منبعا لأكثر الأحداث التاريخية في صدر الإسلام، وبها حدَّث النبي – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه أكثر حديثه، وهو لا يُفهم تمام الفهم إلا بمعرفة ما أحاط بهذه الأحاديث من ظروف تفسرها وتوضحها مما حدث في المدينة آنذاك. وكانت المدينة كذلك مقر الخلافة الراشدية وفيها كثير من الصحابة الذين شاهدوا ما فعل النبي– صلى الله عليه وسلم– وسمعوا ما قال، وكانوا شركاء له في كثير من الأحداث كالغزوات والفتوح، ولهذا فقد اشتهرت مكة بمدرسة إقراء القرآن والتثقف فيه، وقد كان فيها "معاذ بن جبل" الذي خلفه النبي عليه السلام فيها يثقف أهلها ويفقههم في الحلال والحرام ويقرئهم القرآن، وكان من الذين شهدوا المشاهد كلها مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، ويُعدُّ من أعلم الصحابة بالحلال والحرام. وعلَّم بمكة "عبد الله بن عباس" أيضا في أخريات أيامه، وكان قد علّم بالبصرة والمدينة، وكان يجلس في البيت الحرام ويعلم التفسير والحديث والفقه والأدب، وإلى "عبد الله" وأصحابه يرجع الفضل فيما كان لمكة من شهرة علمية. وقد تخرج بهذه المدرسة ثلاثة من الموالي وهم: " مجاهد" الذي اشتهر برواية أقوال "ابن عباس" في تفسير القرآن، و"عطاء"، وهو من جلة فقهاء مكة وزهّادها وكان يعدّ من أعلم الناس بمناسك الحج، وكان يجلس في المسجد الحرام ويجتمع الناس حوله فيفتيهم ويعلمهم ويحدثهم. والثالث: هو "طاؤس" وكان من اليمن أدرك كثيرا من الصحابة وأخذ عنهم ثم انقطع إلى "ابن عباس"، فكان من فقهاء مكة ومفتيها. وواصل تلاميذ هؤلاء تلقي هذا العلم طبقة عن

طبقة، وفيها تعلم "الإمام الشافعي" وأخذ الحديث والفقه عمن كان فيها، ثم تحول إلى المدينة ليكمل تعليمه بعد أن قارب العشرين[1].

أما المدينة فقد كانت أوفر حظا وأكثر علما وشهرة بمن كان فيها من الخلفاء والصحابة العلماء ثم من التابعين، فكان فيها "عمر بن الخطاب" و "علي بن أبي طالب"، و كان " زيد بن ثابت" أكثر الصحابة شهرة في العلم هو و "عبد الله بن عمر"، "فزيد بن ثابت" أنصاري صحب النبي– صلى الله عليه وسلم– منذ صباه وتضلع من فهم تعاليم الإسلام، وكانت له قدرة فائقة على استخراج الأحكام من الكتاب والسنة، ولهذا كان مترئسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض قادرا على استنباط المعاني، ذا رأي فيما لم يرد فيه أثر، أما "عبد الله بن عمر" فكان عالما فقط يجمع الأحاديث ويرويها ويكتبها ويتحرج من القول وإبداء الرأي. وقد تخرج على علماء المدينة من أمثال هؤلاء كثير من علماء التابعين "كسعيد بن المسيب" الذي حفظ عن " زيد" قضاياه وفتاويه وفضل قوله على قول غيره. وتخرج "عروة بن الزبير" "بزيد" و"ابن عمر" فحفظ فقه علماء المدينة، وكان من أعلمهم، وكذا كان " ابن شهاب الزهري" الذي حفظ فقه علماء المدينة وحديثهم، وكان من أسبق العلماء إلى تدوين العلم، وقد أنجبت هذه المدرسة الفقهية الإمام "مالك بن أنس"[2].

أما الدراسة النحوية واللغوية فلم يصل إلينا أن علماء الحجاز بمدينتيه قد اهتموا بها أو نشأت عندهم لانشغالهم بالعلوم الدينية عن كل ما عداها، وإنما كانت البصرة هي البلد المعني بها في العالم الإسلامي منذ بداية نشأتها، كما عُنيت بالقرآن وإقرائه وتفسيره واهتمت بشرحه وتوضيح معانيه والاستدلال على لغته وما جاء فيها من ظواهر إعرابية وتركيبية وصوتية بما جاء في كلام العرب، فاحتاجوا إلى جمع اللغة وتصنيفها ودراستها

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص336.

[2] المرجع نفسه، ص337.

والاستنباط منها ووضع الإقيسة عليها. فنشأ عن كل هذا نقط "أبي الأسود" للمصحف أولا ثم وضع قواعد النحو والصرف وغيرهما من علوم العربية. وتابعتهما مدرسة الكوفة في مواصلة هذه الجهود حتى استقر النحو بجهود شيوخ هاتين المدرستين. وكان لا بد لعلم النحو ودراسته وآراء شيوخه ولا سيما في الموضوعات التي تمس القراءات القرآنية والتوجيهات النحوية التي تنبني عليها أحكام مستنبطة من أن تنتقل بفعل القادمين إلى العراق للتجارة والمسافرين منها إلى مكة والمدينة لأداء فريضة الحج، ولهذا وُجد فيها بعض من اشتغل بالنحو، وكان بعضهم ممن جاء مع الجيش الإسلامي المُحرّر وبقي في البصرة وسمع من شيوخها أو ممن نشأوا من أولاد هؤلاء المدنيين والمكيين ثم عادوا إلى الحجاز وهم يحملون ما سمعوه. فأخذوا يعلمون به أبناءها ويؤدبونهم مطوّرين ذلك إن استطاعوا. ولهذا فلم تُكوّن أخبار هؤلاء دراسة كاملة عن النحو في هذه البيئة، لأنها كانت نُتَفًا تعرض خلال تراجم بعض النحويين أو كتب التاريخ والنحو و غيرها[1].

لقد كان "أبو الطيب اللغوي" ( ت 351هـ) أول من أشار إلى النحو فيها، وعرض لمكة والمدينة. أما المدينة فقد ذكر من رجالها "عبد الرحمان بن هرمز الأعرج" المقرئ المدني المشهور، من أهل المدينة، عاصر في البصرة "أبا الأسود الدؤلي" وسمع منه ما ظهر عنده من مسائل نحوية أو لغوية، وأخذ عنه نقط المصحف ... إنه كان من أوائل الذين نسب إليه وضعه النحو من طبقة "أبي الأسود"، وأنه رحل إلى المدينة واستقر بها يُقرئ الناس النحو وغيره من العلوم، فقد أقرأ الإمام " مالك بن أنس" عدة سنين في علم أصول الدين[2].

وأما مكة فكان بها رجل من الموالي يقال له "ابن قسطنطين" يشدو شيئا من النحو... و " ابن محيصن" ذكره "أبو الطيب اللغوي" عرضا بعد كلامه على "عاصم"

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص337.

[2] المرجع نفسه، ص338.

القارئ فقال[1]: «محمد بن محيصن، كان يحسن شيئا يسيرا من جليل النحو فسقط، وكان من أهل مكة، واسمه محمد، وأهل الكوفة يعظمون من شأنه، ويزعمون أن كثيرا من علمهم وقراءتهم مأخوذ عنه» [2].

ويبدو أنه من الذين صاحبوا الجيش الإسلامي الذي استقر في الكوفة، ولا بد من أن يكون علم النحو ورجاله قد انتشروا وكثروا في المدينة ولا سيما في زمن "الخليل " وتلاميذه. وقد كان "الخليل" يحج سنة ويغزو أخرى، ومعنى هذا أنه اتصل في أثناء رحلاته إلى مكة والمدينة برجال سمعوا منه وحدثوه وأخذوا عنه ما أخذوا، ولم يكن "الخليل" وحده الذي فعل هذا، فقد كان " الفراء" دائم الرحلة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ولا أظن أن هناك من يشك في وجود نحويين في مكة والمدينة في العصور التي تلت زمن "الخليل" وتلاميذه مع كثرة الراحلين إليهما من أقطار العالم الإسلامي كافة من العلماء في مختلف العلوم ممن كانوا يدخلون العراق ويقابلون علماء اللغة فيها ونُحاتها ويأخذون عنهم ثم يؤدون فريضة الحج، ويعودون إلى بلدانهم، أو قد يحجون ثم يذهبون إلى مراكز الدرس النحوي في العراق، والرحلة كانت مستمرة بين هذه الأمصار الإسلامية والأخذ من علمائها دائم ومتواصل، إلا أن الدارسين وكتاب الطبقات لم يهتموا برصد أخبار من دخل الحجاز من النحاة من مختلف البيئات، ولا ترجموا لمن استقر فيها أو وجد فيها من النحاة ومدى النشاط الذي قاموا به، وذلك لأن اهتمامهم كان منحصرا في كونهما مدينتي قراءة وفقه وتشريع وإفتاء. ودليل هذا ما نجده في ترجمة المصري "ولاد المصادري التميمي" من أخباره أخذه بالمدينة النحو عن رجل من أهلها لم يكن من الحذاق وأنه اتضح "للزبيدي" كونه من تلاميذ الخليل[3].

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص338.

[2] أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص25.

[3] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص339.

**اليـمـن:**

كل ما عرف من أخبار بيئتها العلمية أنه وجدت فيها مدرسة لإقراء القرآن شأنها شأن أية مدينة إسلامية، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم– قد أرسل " معاذ بن جبل" (ت 18 هـ) إلى اليمن حاكما، وكان قارئا فقيها ومفتيا وقاضيا نال ثقة النبي – صلى الله عليه وسلم–، وأنه كانت له قراءة خاصة تزاحم قراءة "أُبَيّ " و "ابن مسعود" وأنه رحل إلى الشام حيث مات فيها قرب الأردن. وترجم "ابن النديم" لقارئ هو " ابن السميفع" –محمد– وأصله من اليمن سكن البصرة في آخر أيامه وله قراءة، أما أشهر من عرف منهم واقترن ذكر اليمن باسمه "فأبو موسى الأشعري" الذي قدم مكة من اليمن وأسلم وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر، وكان يُعدّ من أعلم الصحابة، قَدِمَ البصرة في أول عهدها بالاسم واستقر بها بعد تمصيرها وعلَّم بها، سأل " عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه– "أنس بن مالك" الذي استقر معه في البصرة: كيف تركت الأشعري؟ فقال: تركته يُعلم الناس القرآن. و يقال في اليمن ما قيل في غيرها من أنه قد كان فيها من العلماء والقراء من رحل إلى البصرة أو الكوفة أو الحجاز أو مصر أو الشام، وأنه لا بد من أن يكون علماؤها قد اتصلوا بغيرهم ونقلوا عنهم ما عندهم إلى بلدهم سواء أكان الاتصال عن طريق الحج أم التجارة أم للعلم نفسه[1].

ولا يُنكر أنه يوجد في اليمن أو في غيرها من الأمصار رجال حملوا اسمها ودرسوا وتعلموا وعلَّموا، وقد لاحظنا كثرة من رحل من العراق إلى مصر ومنهما إلى الأندلس في أول أيام الدولة الإسلامية، ومن بغداد والأندلس إلى مصر في القرن السابع بعد نكبة بغداد والأندلس [2].

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص339، 340.

[2] المرجع نفسه، ص340.

**الشـــام:**

كان الشام مبعثا لعدد من الأنبياء الذين نشروا تعاليمهم السماوية، وتعاقبت عليه المدنيات المختلفة فأورثته حضارتها وعلمها كالفينيقيين والكلدانيين والمصريين واليونانيين والرومانيين، وكان لكل من هؤلاء مدينة خاصة ومركزا خاصا في إحدى مدنه، فتعددت مراكز الثقافة فيها مثل صور وأنطاكية وصيدا وبيروت وحمص ودمشق. وشارك أهله في هذه الثقافات فكان لذلك أثره في عقلية الشاميين، وقد عرف العرب في جاهليتهم هذه البلاد فهاجوا إليها وأنشأوا لهم فيها ولايات، واعتنقوا ديانات أهلها بعد استقرارهم فيها وأخذوا يَتَسَمَّوْن بالسوريين رابطين أنفسهم بها أكثر مما كانوا يرتبطون بمساكنهم في جزيرة العرب. ولما حررها المسلمون ونشروا فيها تعاليمهم ولغتهم وكتابهم العظيم بدأ الشاميون من جديد بتعلم لغة قريش كما أخذ أهلها يتعلمونها أيضا ويتكلمون بها أيضا مع لغتهم الآرامية أو اليونانية، إلا أن الإسلام العظيم ولغته الخالدة استطاعا أن يزيحا تلك اللغات والديانات بدخول أكثر أبنائها في الدين الجديد، وكان "عمر بن الخطاب" –رضي الله عنه– قد بعث إليهم من الصحابة من يعلمهم الدين الجديد كما كان يفعل هو والخلفاء الراشدون عامة مع الأمصار المحررة الأخرى، فأرسل إليهم "معاذ بن جبل" و"عبادة" و "أبا الدرداء" الذين تكونت منهم المدرسة الدينية بالشام وأخذوا على عاتقهم تعليم السكان العربية والقرآن وعلومه والفقه والإفتاء، وعُيّن "أبو الدرداء" قاضيا فيها، وأرسل عمر – رضي الله عنه– بعدهم " عبد الرحمان بن غُنْمٍ"، فتخرج بهم عدد كبير من التابعين، كان أشهرهم قاطبة إمام أهل الشام " عبد الرحمان الأوزاعي" الذي يُقرن مذهبه بمذهب "مالك" و "أبي حنيفة" [1].

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص340،341.

وقد وصل إلى الشام عدد كبير من العلماء من كل قطر ومركز ثقافي، بعد أن أصبحت مركزا للخلافة الأموية، وتكونت فيها ثلاث حركات علمية: تُعنَى إحداها بالقرآن وقراءاته وتفسيره وعلومه والحديث وما يتبعها من فقه وتشريع مُعتَمِدٍ عليهما، وحركة تاريخية تُعْنَى بالتاريخ وقصص الشعوب والسيَر، وحركة فلسفية تعنى بالجدل ولا سيما ما يقع منه بين النصارى والمسلمين، ثم أحدثت حركة رابعة هي الحركة الأدبية، وقد آزرت بعض هذه الحركات بعضا واستفادت منها وأفادتها، واعتمد بعضها على بعض كاعتماد المؤرخين على قصص القرآن واللغويين على شواهده[1].

ولعل أكبر حركة أدبية ولغوية ونحوية ظهرت في الشام تلك التي قامت على يد "سيف الدولة الحمداني" بحلب حيث شجع العلماء والمثقفين ولا سيما الأدباء والشعراء ونال تشجيعه اللغويون والنحاة أيضا، وبرز في بلاطه نحاة مشهورون منهم: [2]

- **أبو علي النحوي ( الفارسي):** كان أكبر نحوي عالم بالعربية في زمنه، عاش في حلب مدة وفي العراق مدة، وتنقل في غيرهما، ويعد هو وتلميذه " ابن جني" ممثلَي مدرسة النحو والصرف التي كانت تستخدم القياس إلى أقصى حد ولا تقف عند النص، وهو "أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن ابان النحوي"، ولد بمدينة "فسا" واشتغل ببغداد ودخلها سنة 307هـ، كان إمام وقته في علم النحو، دار البلاد وترك بغداد إلى حلب ومنها إلى شيراز، وتدل كتبه التي تحمل أسماء البلدان على أنه زار البصرة، وقصر ابن هبيرة قرب مدينة الكوفة، وهيت وهي مدينة على الفرات غربي بغداد. إلا أنه استقر في بلد سيف الدولة " حلب". كان يميل إلى مذهب البصريين في النحو كما يتضح في أغلب آرائه، ويتبع منهجهم في شواهده فيحتج بما كانوا يحتجون به، من شعر جاهلي ومخضرم وإسلامي حتى زمن "ابن هرمة"، ويحرص في روايته له على

---

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص341.

[2] المرجع نفسه، ص342.

نسبته لقائليه، وبما احتجوا به من لغات القبائل العربية الفصيحة والشروط المعروفة عنهم، توفي سنة 377هـ في بغداد. صنف كتبا في اللغة والنحو والقراءات وغيرها، أشهرها" : الإيضاح" و " التكملة في النحو" و " الحجة في القراءات" و" التذكرة" و " المقصور والممدود" و " الإغفال" وهو فيما أغفله "الزجاج" من المعاني، و "العوامل المائة" و " المسائل الحلبيات" و " البغداديات" و " الشيرازيات" و "البصريات" و " الهيتيات" و " القصريات" و " العسكريات"[1].

[1] خديجة الحديثي، المدارس النحوية، ص341.

**الخاتمة:**

يفترض في الطالب الذي درس هذه المحاضرات أنه قد تحصل على نظرة شاملة حول المدارس النحوية، هذه الرؤية التي يمتلك من خلالها الكفايات القاعدية الضرورية التي تؤهله لأن يكمل دراساته اللسانية، عند نجاحه وانتقاله إلى المستوى الموالي الذي يتطلب معارف لسانية معينة، لكي تسمح له بتناول قضايا لسانية أكثر تفرعا وتخصصا، كالنحو الوظيفي، والتداولية وغيرها.

من هنا تتضح أهمية تناول الطالب في مساره التعليمي الجامعي لمفردات مقياس المدارس النحوية، التي تناولناها بالشرح المختصر عسى أن يستفيد منها الطالب والقارئ بصفة عامة.

**قائمة المصادر والمراجع:**


1. إبراهيم السامرائي، المدارس النحوية أسطورة وواقع، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1987.
2. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (دط)، (دت).
3. أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، (دط)، 2012.
4. أحمد مكي الأنصاري، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، (دط)، 1964.
5. ألبير حبيب مُطْلق، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت، (دط)، (دت).
6. آنخِل جُنثالثْ بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، (دط)، (دت).
7. أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة، بيروت، (دط)، (دت).
8. أبو البركات الأنباري ( أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط)، 1998.
9. البغدادي (عبد القادر بن عمر البغدادي) ، خزانة الأدب ولُب لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، (دط)، (دت).

10. البلاذري (أحمد بن يحي بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري)، فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية ، مصر، ط1، 1901.

11. التهانَوي (محمد علي التهانوي)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996.

12. الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي)، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (دط)، 2002.

13. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب)، البيان والتبيين، قدم لها وبوبها وشرحها: علي أبو ملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط2، 1992.

14. ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جِنِّي)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، (دط)، (دت).

15. ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جِنِّي)، اللمع في العربية، تحقيق: سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، (دط)، 1988.

16. ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جِنِّي)، سر صناعة الإعراب، دراسة و تحقيق: حسن هنداوي، (دط)، (دت).

17. حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.

18. خديجة الحديثي، المدارس النحوية، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط3، 2001.

19. ابن خَلِّكَان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، (دط)، 1978.

20. الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي) ، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، (دط)، (دت).

21. الزبيدي ( أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة، ط2، 2009.

22. الزجاج (أبو إسحاق الزجاج)، ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، (دط)، 1971.

23. الزّجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس ، بيروت، ط3، 1979.

24. الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي)، الجمل في النحو، حققه وقدم له: الدكتور علي توفيق الحَمد، دار الأمل، إربد، الأردن، ط1، 1984.

25. سعيد الأفغاني، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، (دط)، 1987.

26. ابن سلام الجمحي (محمد بن سلام الجمحي)، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (دط)، (دت).

27. سيبويه (عمرو بن عثمان بن قَنبر) ، الكتاب، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999.

28. السيرافي ( القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي)، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1955.

29. السَّيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي)، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998.

30. السيوطي (عبد الرحمن جلال الدين السيوطي)، المُزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه : محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل ، بيروت، (دط)، (دت).

31. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف ، القاهرة، ط7، (دت).

32. أبو الطيب الحلبي (أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي)، مراتب النحويين، حققه وعلق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (دط)، (دت).

33. عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجَبلاوي، شبرا، مصر، ط2، 1986.

34. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، أبو علي الفارسي حياته، ومكانته بين أئمة التفسير العربية وآثاره في القراءات والنحو، دار المطبوعات الحديثة ، جدة، ط3، 1989.

35. عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، دار المعرفة الجامعية، (دط)، 2008.

36. علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، 2005.

37. علي أبو المكارم، مدخل إلى تاريخ النحو العربي وقضايا ونصوص نحوية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، 2007.

38. علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الارسطاليسي، دار الفكر العربي، ط1، 1947.

39. ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: السيد أحمد صقر، طُبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (دط)، (دت).

40. ابن قتيبة ( أبو محمد عبد الله بن مسلم)، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت).

41. ابن قتيبة ( أبو محمد عبد الله بن مسلم)، المعارف، حققه وقدم له: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف ، القاهرة، ط4، (دت).

42. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، نقله إلى العربية: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط5، (دت).

43. المبرد (محمد بن يزيد المبرد)، المقتضب، www.al-mostafa.com

44. محمد حسن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع ودلالته، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط)، (دت).

45. محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1953.

46. المرزُباني (أبو عبيد الله محمد بن عِمران المرزُباني)، نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء، عني بتحقيقه: رودُلْف زلهايم، دار فرانتس شتاينر بڤيسبادن، (دط)، 1964.

47. ابن مضاء القرطبي (أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي)، الرّد على النحاة، نشره وحققه: شوقي ضيف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1947.

48. ابن منظور ( أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000.

49. مهدي المخزومي ، الدرس النحوي في بغداد، دار الرائد العرب، لبنان، ط2، 1987.

50. مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، شركة مكتبة ومطبعة مِصُطَفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ط2، 1958.

51. ابن النديم ( محمد بن إسحاق النديم)، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).

52. اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1993.

53. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي)، معجم البلدان، دار صادر ، بيروت، (دط)، 1977.

# الفهــرس

**العنوان** **الصفحة**


مقدمة.....أ

المحاضرة الأولى: مفاهيم تأسيسية..... 2

المحاضرة الثانية: الاتجاهات النحوية عند النحاة العرب القدامى.....20

المحاضرة الثالثة: مدرسة البصرة النحوية.....34

المحاضرة الرابعة: مدرسة الكوفة النحوية.....46

المحاضرة الخامسة: المدرسة البغدادية.....56

المحاضرة السادسة: المدرسة الأندلسية.....61

المحاضرة السابعة: المدرسة المصرية.....69

المحاضرة الثامنة: النحو في بيئات أخرى..... 89

الخاتمة..... 97

قائمة المصادر والمراجع.....98

الفهرس.....104